



جامعة أم القري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا الخارجية والحفازية

اخليفة الأموي الطاعون المرسى ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ

بحث مقدم

للسيد درجبة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف ٢٦٧٤ هـ / ٦٨٤

الدكتور أحمد الشريف



بحث الطالبية

وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

١٤٠٣ / ١٤٠٢ هـ

١٩٨٣ / ١٩٨٢ م

١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

{ شكر وتقدير }

فمن الشكر الواجب أن أسجل اعترافى بالجهد الصادق الذى بذله استاذى الفاضل الدكتور / احمد السيد دراج فى الاشراف على هذه الرسالة ، والتوجيه الدقيق المفيد لى فى فصولها ، وما عدل من ميلها حتى استوت على سوقها .

ولئن أستطيع فى هذه الكلمات القليلة ان أوفيه حقه ولكن ابتهل الى الله أن يجزيه أكرم الجزاء ، وأن يوفقنى بتأيينه وأن يشغلنى برعايته وأن يلهمنى الصواب فى طريق البحث والمعرفة حتى أكون قد وفيت بواجب العلم .

المقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله حمدا كثيرا يوافي نعمه علينا ويستوجب شكرنا لله
والصلاة والسلام على معلم البشرية محمد .

أما بعد ..

ان الدارسين للتاريخ الأندلسي يجدونه حافلا بالجوانب
الضيقة والخصائص الغريفة والمزايا العديدة . ومن بين تلك الجوانب
والخصائص والمزايا توفيق الاندلسيين بين المحافظة على كل ما هو
أصيل والنزوع الى التجديد والاجتهاد والسعي الحثيث الى الابتكار
والاختراع في كل شأن من شئون الحياة . يتجلى ذلك في تراثهم
الفكري الذي خلفوه وحضارتهم التي لاتزال تتألق بريقا ولعانا
على تطاول الأعصر وتراسي الأعوام .

وانا كان هناك عصر في التاريخ الاندلسي يستلزم ان يدرس
ويكتب عنه أكثر من غيره فهو عصر الدولة الأموية في الاندلس لأن هذه
الدولة كثيرا ما صورت على غير حقيقتها أو كتب تاريخها على غير
ما يرضى الحقيقة والعدل . فطالما حمل عليها وأسى* تقدير رجالها
وذلك لأنها قامت نتيجة صراع مع عناصر متعددة متباينة ، ومن ثم
كان لها منذ نشأتها أعداء* كثيرون ، ومازاد الطين بلة أن بعض
الدارسين لتاريخ هذه الدولة بنوا أحكامهم على معلومات سطحية
أو خاطئة وهذا لا يعني انعدام وجود الدراسات المنهجية
الدقيقة عن تاريخ الأندلس ، فقد كتب عن الأندلس ورجالها الكثير .

غير أن جهود الباحثين في التاريخ الأندلسي قد تركزت على دراسة فترات معينة دون غيرها ربما لتوفر المصادر والمراجع لتلك الحقبة من الزمن أو لأسباب موضوعية أخرى يطول شرحها .

ولقد بلغت الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر قمة القوة السياسية في العالم المعروف يومها ، وتقرب إلى الخلافة أقوى الحكام الأوروبيين المعاصرين كإمبراطور أوتو الأول إمبراطور ألمانيا ، والإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع ، فقد أرسلوا السفارات إلى قرطبة تخطب ود الخلافة وتسعى إلى صداقتها . فضلا عن هذه العظمة السياسية التي شهدتها الأندلس في عهد هذين العاهلين ، فقد واكب ذلك ازدهارا حضاريا في مختلف جوانب الحضارة .

وبعد عصر الحكم المستنصر بالذات في طليعة عصور الخصيب والنماء في تاريخ الأندلس في ميادين العلم ومجالات التفكير ، وفي دنيا الآداب والعلوم المختلفة . فقد نبغ فيه العلماء الأعلام في مختلف مجالات النشاط الفكري والفني من لا يحصون كثرة ولا يدركون عمقا حتى كان للفكر الإسلامي في الأندلس صرح ثابت الدعائم قوى الأركان ينشر نوره شرقا وغربا . كما أن الحكم المستنصر نفسه كان عالما شارك بمواهبه وجهوده العلمية فيما تحقق في الأندلس في عهد من نهضة علمية كبرى . ومن ثم كانت حياة الحكم المستنصر وكذلك تاريخ الأندلس في عهد في حاجة إلى دراسة علمية جادة

تتسم بالشمول والعمق وتوضح جوانب شخصيته وجهوده فيما تحقق
للأندلس في عهد من عظمة وسياسة ونهضة علمية .

فالحكم المستنصر الذي ندرسه في هذه الرسالة يمثل أحد
خلفاء الإسلام العظماء الذي يرقى إلى الصف الأول من بناء المجد
بفضل الله عز وجل ثم بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها لأمتيه
بما وهبه الله من علم وحرية وفكر واتساع أفق .

ولقد وقع اختياري على دراسة عهد الحكم المستنصر لما لهذه
الفترة من أهمية بالغة في أحداث الأندلس الداخلية والخارجية ،
وأيضاً لارتباطي وحيي العميق لغردوسنا المفقود ، فكل مسلم يشعر
بهذه العاطفة الجياشه لهذا المقيم النائي أعاده الله للإسلام
والمسلمين .

هذا وتضم الرسالة أربعة فصول يحتوي كل فصل على عدة
مباحث رئيسية ولو رفعت عناوين الفصول والمباحث لاتصل البحث
من أوله إلى آخره بشكل مترابط ووثيق . كما قدمت لهذه الفصول
الأربعة مقدمة أوضحت فيها أهمية عهد الحكم المستنصر في تاريخ
الأندلس والدوافع التي دفعتني إلى دراسته ثم تلا ذلك عرض
موجز لما تضمنه كل فصل من الفصول من مباحث .

فأما الفصل الأول فقد كان عنوانه : " الخليفة عبد الرحمن الناصر
يحيى " ابنه الحكم للخلافة " ، وفيه تناولت بالبحث نقطتين رئيسيتين :

الأولى : اعداد عبدالرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة من بعده ، والثانية : تولية الحكم المستنصر الخلافة .

وقد ركزت فى النقطة الأولى على حياة الحكم منذ ان كان وليا للعهد وعلى حرص ابيه الناصر على تنشئته نشأة صالحة واعداً له ليكون خلفاً له ، وعلى أن يذلل له كل العقبات التى اعترضت طريقه فى الوصول الى مقام الخلافة ، والقيام بمهامها المختلفة .

أما النقطة الثانية : فكانت عن توليته الخلافة بعد وفاة ابيه فى شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . فبعد ان تولى الحكم فى هذه المدرسة العالية وتدرج على تسيير شئون الخلافة وتنظيم مصالح الشعب والبلاد وتولى الخلافة وهو فى الاربعينات من عمره أى فى الثامنة والاربعين من عمره تقريباً بعد ان يبيع بها البيعة الخاصة ثم البيعة العامة ، وانصرف بعد ها الى ادارة دفة البلاد وادارة شئون الخلافة بكل قوة ونشاط وحكمة واقتدار .

ثم انتقلت الى الفصل الثانى وقد أفردته عن جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والامارات الاسبانية النصرانية ضد النورمان ، وقد قسمته الى أربعة أجزاء .

الجزء الأول كان بعنوان " نظره عامة عن أحوال الممالك الاسبانية النصرانية وعلاقاتها بالاندلس حتى نهاية عهد عبدالرحمن الناصر " ، وتحدث فيه عن كل ملكة وامارة اسبانية ، وعن موقعها وعلاقاتها

بدولة الخلافة في الاندلس في عهد عبدالرحمن الناصر ، وعســن
خضوع قوادها له واستنجا دهم به واحدا ضد الآخر .

أما الجزء الثاني فكان عن علاقات الحكم المستنصر بالعمالك
الاسبانية النصرانية ، وتناولت فيه الحديث عن هؤلاء الأســرا
وعلاقاتهم المتفككة ببعضهم البعض ثم عن حربهم سويـا للخلافة
الاسلامية ، وما تلا ذلك من عودتهم الى التفكك والتناحر والانقسام
واستنجا دهم بعضهم بالحكم المستنصر ضد البعض . وقد ركزت في هذا
الجزء على جهاد الحكم المستنصر لمملكة نبره ولا مارة قشتاله واخضاعه
كل منهما تارة بالحرب ، وتارة أخرى بالمعاهدات السلمية .

وأما الجزء الثالث فكان عن نقض ملوك وأسرا النصراني المهود
والمواشيقي وعودتهم الى شن الغارات على الدولة الاسلامية بعــد
أن أخذت وفودهم لا تنقطع عن بلاط الحكم المستنصر حاملين لــه
الهدايا والتحف من رؤسائهم .

وفي الجزء الرابع كان الحديث عن جهاد الحكم المستنصر ضد
النورمان ، وفيه تحدثت عن هؤلاء الأقوام واستعرضت تاريخ حياتهم
وأصلهم ، والدوافع التي أدت بهم الى الخروج من موطنهم وغازاتهم
على بلاد الاندلس قبيل عهد الحكم المستنصر وبالتحديد منذ عصر
الامارة في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد ، فعهد
الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم عهد ابنه الحكم المستنصر .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته للنزاع بين الحكم المستنصر وبين
الفاطميين على المغرب الأقصى ، وقد قسمته الى عدة نقاط رئيسية :
الاولى عن النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على
المغرب الأقصى ، وفيها تحدثت عن مزاحمة الفاطميين للأمويين على
المغرب الأقصى ومحاولة نشرهم للمذهب الشيعي هناك ، ووقف
عبد الرحمن الناصر على وجههم عن طريق تقوية اسطول الاندلس
واعداد العدة لحربهم ، وجذب كبار رؤوسا البربر للوقوف مع
ضد هم ، واستيلائه على معاير الاندلس المهمة مثل سبتة وطنجنة
ومليحة ، وتوطيد علاقاته باعداء الفاطميين ، فضلا عن اهتمامه بموانئ
الاندلس والعناية بها وتطويرها .

ثم انتقلت الى النقطة الثانية وهي النزاع على المغرب الأقصى
بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي . فالمعز لدين الله
الفاطمي بمجرد ولايته بادى بتدعيم نفوذ الفاطميين على المغربيين
الأسط والأقصى ، وجرد الحملات لتحقيق هذا الهدف والوقوف على
وجه الأمويين ، وبالتالي وجدنا ان الخليفة الحكم المستنصر يعسده
للأمراء ته باهتمامه بالاسطول وتجريد الحملات الى بلاد المغرب
الاسط والأقصى للقضاء على دعوة الفاطميين وتمكنت هذه الحملات
من تحقيق انتصارات عظيمة أدت الى تراجع الفاطميين ثم خروجهم
مرة أخرى للأخذ بالشار واسترداد ماخرج من نفوذهم ، وأخيرا
ما كان من خروج المعز لدين الله الفاطمي الى مصر تاركا بنو زيري

نوابها عنه في بلاد المغرب يحاربون نيابة عن الفاطميين أنفسهم
الأماوي هناك .

وأما النقطة الأخيرة في هذا الفصل فهي عن محاولة آخر أمراء
الادارسة الحسن بن قنون في استعادة نفوذهم على المغرب الأقصى .
فبعد أن نجح الحكم المستنصر في توطيد نفوذ الأمويين في المغرب
الأقصى اضطدم ذلك بمصالح أمراء الادارسة من بني محمد الذين
طمعوا في الاستقلال والسيطرة على الجهة الشمالية من المغرب
الأقصى فقرروا القيام بثورة وقطع دعوة الأمويين ، ولكن الحكم المستنصر
كان لهم بالمرصاد فحشد الجيوش الجزاره ، وارسل القواد المهيرة
وأكثر لهم الأموال وأعد لهم العدة لمسيرة الجيوش فسارت لحربهم
واستئصال شأفتهم ونجحت خدائهم في القضاء عليهم ، فعاد قسواد
منتصرين ومصطحبين زعيم الادارسة الحسن بن قنون الذي سمح لسه
الحكم المستنصر بالاقامة في قرطابه .

وبعد تلك الاحداث وقعت بين الحكم المستنصر والحسن بن
قنون جفوة أمر الخليفة على أثرها ابعاد الحسن فتوجه الى تونس
ومنها اتجه الى مصر مستعينا بالفاطميين .

ثم انتقلت الى الفصل الرابع والأخير وكان عن الحياة العلمية
في الاندلس في عهد الحكم المستنصر ، وقد قسمته الى ثلاثة أجزاء :
الجزء الاول وهو صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الاندلس

ففي عهد عبد الرحمن الناصر . ثم انتقلت الى الجزء الثاني عن الحكم
المستنصر الخليفة العالم وجهود ، العلمية والتعليمية وقد قسمته الى
عدة اقسام تناولت فيها بالحد يث عن تشيخته العلمية وهو ولي العهد ،
وشخصيته العلمية ، وجهود ، العلمية والتعليمية بعد ان تولى
الخلافة ثم انشأ له مكتبة القصر والمكتبات الفرعية بمختلف أقاليم
الاندلس ، وما قام به رجال الاندلس من انشاء المكتبات الخاصة ،
وأخيرا توسعته للمسجد الجامع في قرطبة وتحويله الى جامعة علمية
ثم أفردت القسم الأخير من هذا الفصل عن الحياة العلمية فسقى
الاندلس في عهد الحكم المستنصر وبخاصة في مجالات الدراسات
الشرعية واللغوية والأدبية والعلوم التجريبية .

التعريف بأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت في كتابة هذه الرسالة على عدد كبير من المصادر القديمة والمراجع الحديثة بجدد القارىء الكريم ثبثا بها في آخر الرسالة ، غير أننى في هذه المقدمة اقتصر على إبراز أهم هذه المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها بصفة رئيسية ، وفيما يختص بالمصادر يأتى في مقدمتها :

- ١ - المقتبس لابن حيان (٣٣٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) وقد كان اعتمادى فيه على الجزء الذى حققه عبد الرحمن الحجاوي ، وتناول فيه تاريخ خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر . وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة له أهمية كبيرة ، فهو يعتمد على المؤرخين الذين سبقوه فيستفيد من أخبارهم وينقله لنا بالإضافة الى ما عنده ، فهو يكتب من الراوى ، ومن محمد بن يوسف الوراق . وبهذه الطريقة يكون قد حفظ لنا نصوصا غاية في الأهمية كان يمكن ان تضيع وتفقده لولا أن حفظها لنا هذا الكتاب . وأما عن الكتاب بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فله أهمية كبيرة إذ اعتمدت عليه في تفطيس جوانب عدة من البحث سواء عن جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان ، وحربه مع الأدارسة ومع زعيمهم الحسن بن قسرون وانتصاره عليه ، كما تحدثنا لنا ابن حيان عن مجالس الحكم

واجتماعاته وتصريفه الأمور وكيفية توزيعه لقادته اشياء المعارك .

٢ - نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، للمقرى (ت ١٠٤١ هـ) .
ولكتاب المقرى بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة خاصة أهمية كبيرة ،
فلقد حفظ لنا اخبار الاندلس وخلاصة تجاربه وارتحاله السسى
البلاد التى زارها وأمضى فيها وقتا للبحث والعلم ، وهـــــ
سنه جميعه مضى عليها معظم المؤرخين والعلماء فى تلك الفترة ،
فدون لنا خلال رحلاته المتكررة معظم ما يخصنا من تلك الفترة
من حكم دولة الاسلام فى الاندلس . وبالنسبة لتاريخ الحكم
الستنصر بصفة خاصة تبدو أهمية هذا الكتاب عظيمة جدا فى
تغطية جوانب كثيرة من البحث فهو يحددنا عن كل ما له علاقة
بالحكم منذ ان كان وليا للعهد حتى تسلم منصب الخلافة ،
ويستعرض لنا اثر توجيه الأب لابنه فى فترة ولايته للعهد ، وى
اهتمام الحكم بالعلم وأهله ، ويروى لنا عن حروبه وجهاده مع
الممالك النصرانية ، ويحددنا عن أهم رجال الدولة فى تلك
الفترة ، بالإضافة الى أبرز العلماء الذين قدموا الى الاندلس .
بأسلوب مبسط سهل جدا ولكن لا يخلو من التكرار .

٣ - البيان المغرب لابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) . وهذا الكتاب
من أهم الكتب فى تاريخ الاندلس بصفة خاصة فهو بما يحوى
من معلومات قيمة عن تلك الفترة من حكم الاسلام فى الاندلس
يعد من أوائل الكتب المعتمدة ، فلقد حفظ لنا الشئ الكثير

عن حكم الامراء والخلفاء في الاندلس وكل ما يخصهم من جهاد وحروب وتطور ونهضة . أما بالنسبة لموضوع البحث بمفئة خاصة فلقد حفظ لنا الشئ الكثير من حياة الحكم المستنصر ، فهسو يذكر لنا أهم أعماله وجهاده وحروبه ، وبعض رجال دولته البارزين ، وأهم أعماله الانشائية ، ودوره في تشجيع العلماء ، وتطوير قرطبه وتزديدها بكل وسائل التطور والنهضة . ولقد اتبع ابن عذارى في كتابه اسلوبا غاية في الوضوح مع التركيز على أهم الاحداث وتتبع الامور بطريقة متسلسلة بعيدة عن الاستطرادات .

٤ - تاريخ طما* الاندلس لابن الفرسى (ت ٤٠٣ هـ) . وهذا الكتاب بما حوى بين دفتيه من تراجم لعلماء الاندلس يعد من أهم الكتب في تاريخ رجال العلم في الاندلس بمفئة عامة ، فلقد حفظ لنا اخبار هؤلاء العلماء ورحلاتهم ودراستهم ومولفاتهم وعلاقاتهم بالدولة والحكم .

وتبدو أهميته الكبيرة بالنسبة لموضوع البحث بمفئة خاصة فيها حواء من اخبار ومعلومات غاية في الأهمية من الكتب القديمة التي سبقته والتي لولا حفظه لها لضاعت اكثر تلك المعلومات القيمة بضياع تلك الكتب التي فقدت ، بلاضافة الى انه أمدنا بأشهر وأهم العلماء ورجال الفكر المعاصرين لفترة حكم الحكم المستنصر ، فغطى بذلك كثيرا من الجوانب المهمة والمضيئة في حياة أولئك الرجال الافئدة .



٥ - جذوة المقربين - للحميدى (ت ٤٨٨ هـ) . وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس يعد من الكتب المهمة التى حفظت لنا تراجم العلماء الذين برزوا فى العلوم الشرعية والأدبية بصفة خاصة . أما بالنسبة لموضوع البحث فالكتاب يعد من المصادر القيمة التى اعتمد عليها فى كتابه عن أشهر رجال وعلماء الأدب بفروعه المتعددة من نحو وشعر ونثر وغيرها .

ويعد الحميدى من المؤرخين القلائل الذين جمعوا فى كتابتهم بين الجانب العلمى والأدبى معا . ويتمثل الجانب الأدبى فى اختياره للقطع الأدبية الشعرية التى تشع وتظلمر بوضوح فى هذا الكتاب . ولقد امتاز الحميدى فى كتابته بالوضوح والتركيز بصورة صادقة .

٦ - بغية الملتصق للضبي (ت ٥٩٩ هـ) . وفى هذا الكتاب تحدث الضبي عن الاندلس منذ فترة الفتح حتى عصره أى القرن السادس الهجرى . ولقد اعتمد الضبي فى كتابه على أكثر ما ذكره من كتاب الجذوة للحميدى ولكنه لم يكتف بذلك بل أضاف عليه الكثير من التراجم ، فلقد كتب عن جميع العلماء البارزين فى العلوم الشرعية من رواة الاحاديث وأهل الفقه ، بالإضافة الى أهل الأدب والشعر . وتبدو أهمية هذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة فى الترجمة لأبرز العلماء الذين كانوا فى تلك الفترة سواء من رجال الدين أو الادب أو للزعماء الذين اشتهروا بالرقابة

والحروب ، بالإضافة الى ذكر المشهورين بالعلم سوا* داخل
الاندلس أو خارجها . وتبدو أهمية بالنسبة للبحث بصفة خاصة
في ابراز تراجم أهل الادب والشعر والعلوم في تلك الفترة من
حكم المستنصر .

٧ - الحلة السيرة - لابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) . ويعد كتاب ابن الأبار
من الكتب المهمة في تاريخ الاندلس ، فلقد حفل كتابه بأهل
العلم في المغرب والاندلس وتاريخ الاسلام عامة ، ويعد بالنسبة
لموضوع البحث من المصادر النادرة التي حفظت لنا نصوصا غاية
في الأهمية عن اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ومناقشة أعيانه
عبد الله له ، وعن طريقة الحكم العلمية ، ودراسته لكتبه ،
وما حوته مكتبته من ذخائر ونفائس كان لها أثر كبير في تشجيع
العلماء والدارسين على الاستزاد . كل ذلك تم بأسلوب ادبي
قوى جميل ، ويعد ابن الأبار من المؤرخين الثقات الحفاظ
بتناوله للمعلومات بصورة صادقة .

٨ - طبقات الامم لمؤيد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) . وهذا الكتاب
أيضا من الكتب المهمة في تاريخ علماء أهل الاندلس بصفة
عامة ، وتاريخ الحكم المستنصر بصفة خاصة ، فهو من الكتب
الهامة التي اهتمت عليها في دراسة نهضة وتطور العلوم في
عصر الحكم المستنصر وأبرز العلماء الذين ظهروا في تلك الفترة .
فلقد دون لنا أبرز العلماء في كل من العلوم الرياضية

والتجريبية والانسانية بصورة واضحة ألقت الضوء على جميع العلماء
 في دولة الاسلام بالاندلس بصفة خاصة ، بالاضافة الى علماء
 آخرين في عدد كبير من الاصقاع . ويعتبر كتاب صاعد من
 أهم الكتب لأنه كان معاصرا لفترة الخلافة في الاندلس ، فهو
 ينقل لنا سيرة هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم وكأنه واحد منهم .

٩ - العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) . وابن خلدون غنى عن التعريف
 وقد افادنى كتابه هذا فى تغطية جوانب كبيرة فى دولته
 الاسلام فى الاندلس بصفة عامة ، وعن حكم الخلافة بصفة خاصة
 بأسلوب غاية فى الاختصار والتوضيح والتركيز . فلقد حدثنا عن
 جهاد الحكم المستنصر مع النصارى ، وعن حربه مع الادارسة
 وعن كثير من مجهوداته ومحاولاته فى تطوير ونضهة بلاده فى
 جميع المجالات .

وبالاضافة الى هذه المصادر الرئيسية ، فهناك عدد آخر
 من المراجع التى تتصل بموضوع البحث اتصالا كبيرا ويأتى على
 رأس هذه المراجع الكتب الآتية :-

١ - كتاب دولة الاسلام فى الاندلس لمحمد عبد الله عشان ، ويعد هذا
 الكتاب موسوعة علمية قيمة عن تاريخ دولة الاسلام فى الاندلس
 بصفة عامة . ولقد اعتمدت عليه بالنسبة لموضوع بحثى فى تغطية
 الكثير من الجوانب المهمة . فلقد كتبت منه عن فترة ازدهار
 عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تمهيدا للدخول فى عهد ابنه

الحكم المستنصر ، ثم غطيت منه جوانب كبيرة عن حياة الحكم
 المستنصر الخاصة والعامة ، وجهاد ، مع الممالك الاسبانية
 النصرانية ، والمجوس ، والفاطميين ، ثم عن اهتمامه بالعلوم
 والعلماء ، وعن أبرز رجال عصره ، وأقوال المؤرخين والمستشرقين
 في تقييم أعمال الحكم المستنصر ، فكان بذلك كتابا حافلا
 استوفى جميع النقاط الهامة من فترة عهد الحكم المستنصر
 الزاهر .

٢ - المغرب الكبير للسيد عبد العزيز سالم ، ويعتبر من أهم الكتب
 التي اعتمدت عليها في الحديث عن جهود عبد الرحمن الناصر
 وابنه الحكم المستنصر في صد أطماع وتوسعات الفاطميين في
 المغرب ، وفي جهاد الحكم بمحنة خاصة معهم ووقوفه في وجههم
 زمنا طويلا ، وعن أبرز المعارك التي دار رحاها بين الطرفين
 وعن عمق الخلاف بينهما . وهذا الكتاب بحق يعد من الكتب
 القيمة بما حوى من معلومات هامة تعتبر مرجعا أساسيا لكل
 من طرق موضوع تصدى الخلافة الاسلامية في الاندلس لا طماع
 الفاطميين .

٣ - تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس للسيد عبد العزيز
 سالم واحمد مختار العبادي ، وهو من الكتب التي غطت جوانب
 كبيرة من البحث من ناحية تأخر البحرية في الاندلس منذ عهد
 الامارة حتى عهد الخلافة . فقد تعرض لنشأة البحرية في

ببلاد الاندلس وتطورها وأثر تطور البحرية وتفوقها في صد أطماع النورمان والفاطميين على الاندلس فترة طويلة . فهو بما يحوى من معلومات غزيرة استقيت من بعض المراجع الاوربية والعربية كان كافية لتغطية هذه الجوانب المتعددة التى أشرت اليها آنفا .

٤ - في تاريخ المغرب والاندلس ل احمد مختار العبادى ، ويعمد هذا الكتاب من الكتب التى حوت تاريخ دولة الاسلام فى الاندلس سواء فى فترة الامارة أو فى فترة الخلافة بصورة شاملة . ولقد ركز فيه على بعض المظاهر الحضارية والتطورات التى شهدتها فترة حكم الخلافة فى الاندلس بصفة عامة . وأفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة بما حوى من معلومات قيمة وواسعة عن فترة جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك الاسبانية النصرانية ومن علاقتها بدولة الخلافة ولجوقها اليها وفدورها بها وإعلان الحرب عليها مرات تلو مرات .

٥ - سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد جمال الدين سرور . لاغنى للباحث فى تاريخ الدولة الفاطمية وعلاقتها بدولة الخلافة فى الاندلس عن هذا الكتاب القيم الذى ركز فيه المؤلف على عسق الصراع والحرب والاطماع بين الفاطميين والأمويين ومحاولة كسب منهما الاطاحة بأطماع الاخر . ولقد أفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة فى تغطية جوانب الصراع بين الطرفين ، وعلاقة خلفاء

الاندلس بخلفاء الدولة الفاطمية وأطامع كل منهما في مالـك
الآخر ، والحروب المتكررة التي لم تتوقف أبدا حتى بعد انتقال
الخلافة الفاطمية إلى القاهرة ، فكان كتابا غزيرا بالمعلومات
القيمة وذو فائدة عظيمة .

٦ - تاريخ التعليم في اسبانيا الاسلامية لمحمد عيسى . وهو رسالة
دكتوراء لم تابع بعد . ولقد حظيت استفادتي من هذه الرسالة
بصفة خاصة في الباب الرابع من الرسالة الذي خصته للحدوث
عن اهتمامات الحكم المستنصر العلمية ، وتشجيعه لطلاب العلم
للبحث والدراسة وتوفيره المناخ العلمي المناسب لتابعة الدراسة
والبحث واستقطاب العلماء من كل مكان للاندلس ، وتوسيعه
لجامع قرطبة وتحويله إلى جامعة علمية هامة .

٧ - الاسلام بين العلماء والحكام لعبد العزيز البدرى ، ويعد هذا
الكتاب من الكتب النادرة التي تناولت مواقف الحكام مع العلماء
في توجيههم الوجهة الاسلامية الصحيحة التي يرتضيها الله
ورسوله استنادا على كتاب الله وسنة رسوله . ولقد كان اهتمامى
عليه في طفولة الجانب الاول من البحث وهو مدى استفادة الحكم
المستنصر في حياة ابيه من حيث توجيهه الوجهة السليمة فى
تلقي العباد من بعده . فكان لتوجيه العلماء الصالحين امثال
المندرج بن سعيد وغيرهم أثر كبير في حياة عبد الرحمن الناصر
وأثر كبير أيضا في استفادة ابنه الحكم المستنصر من تلك المواقف

التي يبدو فيها أثر الحياة العاصرة بالامان في توجيه «ؤلا»
العلماء للحكام التي مافيه من رفعة وتقدم للدولة .

٨ - الاسلام في اسبانيا المظفى عبد البديع . وهذا الكتاب رغم صغر
حجمه ذو فائدة علمية كبيرة من حيث تناوله كل الطوم التي عنت
بها وتتطورها دولة الاسلام في الاندلس ، بالاضافة الى التركيز
على أبرز العلماء الذين شهوروا وتفوقوا في كل علم من العلوم .
ولقد استفدت من هذا الكتاب القيم في تغطية جزء ليس بالقليل
في الحديث عن الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر وعن
أبرز العلماء الذين برزوا في تلك الفترة سواء من برز منهم في
العلوم الشرعية أو الانسانية أو التجريبية .

والله الموفق . .

وفاء المزروع

الفصل الأول

الخلافة عبد الرحمن الناصر

بمضى، ابنه الحكم للخلافة

(١) اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم
لعلى الخلافة .

(٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة .

(١) اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة

حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على تنشئة ابنه الحكم تنشئة ممتازة تؤهله ليكون قائدا عظيما وخلفا أمينيا للاضطلاع بأعباء الخلافة من بعده ، فعنى بتهيئته تربية خاصة منذ حداثة دون بقية أبنائه وخصه بأن يكون خلفا له وهو لم يتجاوز الثامنة من العمر (١) .

كما كان شديد الحرص على استقرار أمور دولته ودولة ابنه من بعده ، فعهد له كل أمور ملكه ليتولى زمام الحكم والبلاد تتعمق في محبوبته من الأمن والاستقرار ، وقد بلغ من حرصه على تفضيل الحكم أنه لم يتورع عن قتل ابنه الثاني عبد الله عندما طم بتدبيره لمعارضته ، ونفى ذلك يقول ابن خلدون : [كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولي عهد وآثره على جميع ولده ودفن اليه كثيرا من التصرف في دولته ، وكان اخوه عبد الله يساميه في الرتبة فنظر لذلك وأفسراه الحسد بالنكث فنكث ، ودخل في قلبه مرض من أهل دولته فأجابوه وكان منهم يأسر الفتى ونفى الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلس فيه فقبض على ابنه عبد الله وعلى يأسر الفتى

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الخلافة والدولة العمارية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، الطبعة الرابعة ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٤٨٣ .

سيمون حايك : صبح البشكسيه أو الاندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العمارية ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٣ .

وطى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين ^(١) .

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر منذ البداية على تدريب ابنه الحكم على إدارة أمور الدولة وخوض الصعاب ، فقد كان يتركه أثناء غيابه في الحروب نائباً عنه في إدارة شئون الدولة ، ويسرى كيف تسير الأمور والأحوال بدونه ، وكيف يتصرف بالحكم وحده . فعندما غزا عبد الرحمن الناصر كورة البصرة ^(٢) تركه في البداية في القصر ليخلفه فيه وليمد به كل ما يحتاجه أثناء غزوه ، وليطعن على سير الأعمال وتصريف الأمور في الدولة في يد أمينة هي يد ابنه ^(٣) ، كما اشركه كثيراً معه في خوض غمار الحروب ليصبح محارباً مقداماً . فعندما خرج عبد الرحمن الناصر لغزو مدينة بطليوس ^(٤) لمحاربة أهلها الخارجين عليه ، كان الحكم معه كعميل له ويده اليمنى في تلك المعركة ^(٥) .

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى المعبرود يوان المبتدأ ، بيروت - مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .
- (٢) كوره من كور الاندلس ، جليلة القدر ، نزل بها جند دمشق من العسرب وموالي الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وهو الذي أسسها وأسكن بها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك .
- () الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر وتصحيح وتعليق حواشيه أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٢٩ .
- (٣) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وليفي بروفنسال - بيروت - دار الثقافة ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
- (٤) مدينة بالقرب من اقليم ماردة ، وهي حديثة الاتخاذ بناها عبد الرحمن الجليقي ، وهي مدينة جليلة في بسط من الارض وتقع على ضفة نهر الغرور (الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦) .
- (٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بتقدريم ابنه معه في حروبه فقط ، بل قدمه أيضا في فترات السلم كان كثيرا ما يعهد اليه بالاشراف على تنظيم الأمور وتنسيقها . فمثلا عندما قدم رسل امبراطور الروم (١) أحسب ان يحتفل بهم احتفالا عظيما وان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه في ذلك المجلس الحافل بالقاء كلماتهم وقصائد هم ، فطلب الناصر من ابنه الحكم ان يقوم بأعداد هذا المجلس الخطابي الشعري لأظهار عظمة الخليفة ومكانته الكبرى بين شعبة واسام هؤلاء الرسل (٢) . ولقد كان باستطاعته ان يعهد بهذا الأمر الى أي ابن من أبنائه الكثيرين أو الى أي رجل من رجال الدولة ، ولكن اختياره للحكم لم يكن حادثة أولأنه أكبر أبنائه ، ولكن لأظهار تفوقه في هذا المجال ولتعويده من جهة أخرى على اختيار الرجل المناسب والكلمات المناسبة للمقام . فصار كان من الحكم الا أن عهد الى الفقيه محمد بن عبد البر الكشكشاني (٣) بأعداد خطبة ليغة تناسب جلال المكان والمناسبة وذلك لتأكيد مسن ان الفقيه محمد هو خير من يقوم بهذا العمل وبهذه المهمة الأدبية الكبيرة . ولم يكتف الحكم بتنظيم هذا الاحتفال بل دعا اليه كتسيرا

(١) هو الامبراطور قسطنطين السابع .

(٢) المقرئ : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، حققه وضبط غرائبه وطبق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت - لبنان - ١٣٦٩ هـ - دار الكتاب العربي ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ٣٤٠ . كان معروفا بفصاحته (٣) هو فقيه من أهل قرطبة ، يعرف بابن الكشكشاني ، كان معروفا بفصاحته وبلاغته .

(المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٥) .

من الخطباء والعلماء والشعراء وكان في مقدمة الجميع أبو طلي القالي (١) ،
والنذر بن سعيد البلوطي (٢) ، وهما من كبار رجالات العلم والدين .
واستعد الجميع لاستقبال أولئك الوفود رسل ملوك الروم واجتمع الجميع
في ذلك الحفل البهيج وقام الفقيه المعهود اليه بالقائه كلمة الافتتاح
(محمد ابن عبد البر) لاداء المهمة فارتج عليه لجلال الموقف ولم يستطع
القيام بالمهمة الموكلة اليه ، فقد هاله ذلك المجلس وما فيه من أهمة
الخلافة وبهره هول المقام . فلم يهتد الى أي لفظ بل سقط مغشياً
عليه . عندها أشار الحكم الى أبي طلي القالي ليحل محله وليصلح ما
أفسده الأول ، وكان أبو طلي القالي رجلاً من رجال تلك الواقفة
فقد كان أمير الكلام وحرراً في اللغة ، ولكن حدث له ما حدث للفقيه
ابن عبد البر فوقف ساكناً متفكراً لا ناسياً ولا متذكراً . حينئذ قام
النذر بن سعيد وخطب خطبة راقعة أنست الحاضرين مواقف الخطباء

(١) هو اسماعيل بن القاسم أبو طلي اللغوي ، ولد بمناجرود ، من ديار بكر .
نشأ بها ورحل الى العراق وطلب العلم ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة
وسمع من كبار علمائها وأدبائها فقال بطبعه الى اللغة وطوم الأدب فسبر
فيها واستكثر منها . وأقام ببغداد خمسا وعشرين سنة ، ثم خرج قاصداً
الى المغرب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ووصل الى الاندلس سنة ثلاثين
وثلاثمائة في أيام عبد الرحمن الناصر وكان ابنه الأمير الحكم من أحب ملوك
الاندلس للعلم ، فتلقاه بالجميل وحظي عنده وقره به بالغ في إكرامه . وكان
اماماً في اللغة فاستفاد الناس منه وله عدة مؤلفات تدل على غزارة علمه .

(الضبي : بغية المتلصص في تاريخ رجال أهل الاندلس ، القاهرة ،

١٩٦٧م - دار الكتاب العربي ، ص (٢٣١) .

(٢) قاضي الجماعة بقرطبة وخطيب بلنح وله كتب مؤلفه في القرآن والسنة والسير
على أهل الأهل ، وهو شاعر بلنح . ولقد قره الخليفة عبد الرحمن الناصر
الى ان مات ثم ولي ابنه الحكم فأقره على ما هو عليه .

(المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص (٣٤٨) .

السابقين ، فأبدع في خطبته ايما ابداع حتى اندهش الجميع ببلاغته
وفصاحته (١) .

ولمّا ملنا هذا الموقف لوجدناه كأنه أمر مرتب ومعد له ، وكسأن
الحكم يعلم ما سوف يحدث في ذلك الحفل ، فاحتاط لذلك وأعد للأمر
عدته ، وجمع كل هؤلاء العلماء الأفاضل دفعة واحدة ، فإذا قصر
أحدهم أكمل الآخر . ان هذا الأمر وهذا التنظيم ان دل على شيء
فانما يدل على فطنة الحكم وذكائه . ولم يكشف عبد الرحمن الناصر
بأن يعهد الى ابنه الحكم بمثل هذه المهمات فحسب ، بل حرص
على اتقائه في كل مجال ، فنراه يعهد اليه بالاشراف على بناء مدينة
الزهراء ، وكانت من المدن العظيمة الجليلة ذات الشأن الكبير بين المدن
الاسلامية ولقد استغرق بناؤها بقية عهد عبد الرحمن الناصر وكذلك
عهد ابنه الحكم واستمر العمل فيها من عام خمسة وخمسين وثلاثمائة
حتى آخر دولة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم أي نحو من أربعين
عاماً (٢) .

وحرص الناصر في حياته على أن لا تمر حادثة من الحوادث أمام
ابنه الحكم الا ويكون له منها الدرس البليغ المستفاد في حياته ومن

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ . المراكشي :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد
المرين - القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية .
(٢) المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ٩٩ .

بعده ، فيدرك كيف يحيط نفسه ودولته بالرجال الحكماء المحنكين وكيف
يتصرف في شئون دولته وفق تقدير كافة الأمور .

فعندما اندفع عبد الرحمن الناصر الى عمارة الارض وتشيد القصور
وتوفير المياه رغبة في تخليد الآثار الدالة على عظمة ملكه وقوة سلطانه
أدى به ذلك الى الانهماك في الناحية العمرانية حتى قامت مدبنة
الزهراء بقصورها الشامخة البديعة وانصرف الى زخرفة أعمدها وجدانها
ومداخلها انصرافا أدى به الى أن عطلت صلاة الجمعة بالسجدة (١) . فلما
رأى القاضي المنذر بن سعيد من ذلك ما رأى أراد ان يعطيه درسا
قاسيا لعله يتعظ ويعتبر ، فبدأ خطبته بقوله تعالى : ﴿ أَتَنْسَوْنَ
بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تُخْلِدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ
بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُهْ�َتْ بِكُمْ بِمَا
تَعْمَلُونَ * أَهْدَاكُمْ إِلَى نَارٍ * وَجَنَّاتٍ وَمِثْوٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) . وواصل تلك الآيات بكلام ذم فيه الاسراف في
البناء والمغالاة في الزخرفة والنفقة ثم واصل كلامه بذكر قول الله تعالى
مرة أخرى حيث قال : ﴿ أَفَمَنْ أَهْدَىٰ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَهْدَىٰ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارِيهِ فِي نَارٍ
جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) . وأتمنى

(١) المقري : المصدر السابق ، ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٨ - ١٣٥ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ - ١١٠ .

بخطيب بأمثال هذه المعانى والآيات ومن التخويف بالموت والتحذير من النار والدعاء الى الله عز وجل فى اعتزال الدنيا الفانية والترقيب فى الآخرة وما فيها ، والتقليل من طلب الدنيا ونهى النفس عن الشهوات ، وأكثر من آيات القرآن العظيم ما يوافق كلامه وأورد من الاحاديث والآيات ما يوافق المقام ، حتى يكس الناس وخشعوا وضجوا بالدعاء والتفزع والتوبة والانابة الى الله عز وجل .

أدرك الناصر من خطبته انه هو المقصود فندم على ما فرط وتقرب الى الله عز وجل بالاعمال الصالحة واستعان من سخطه ، الا انه عز طيبه طريقة المنذر فى توجيههم وقسوة ألفاظه عليه ، فشكا بذلك الى ابنه الحكم وقال : [والله لقد تعمدنى المنذر بخطبته وأسرف فى ترويعى ، وأفرط فى ترويعى ولم يحسن السياسة فى وعظى فزعزع قلبى ، وكساد بعصاه يقرمنى ، واستشاط غضبا عليه فأقسم ان لا يلقى خلفه صلاة الجمعة] (١) . وعندما رأى الحكم كثرة وجد ابيه على المنذر قال له : [وما الذى يمنعك من عزله والاستبدال به ؟] . ولكن الناصر زجره بشده ووجه وقال له : [أمثل المنذر بن سعيد فى فضله وخسیره وعظمه لا أم لك يعزل لارضا نفسى ناكبة عن الرشده ، سالكة غير القصد ، هذا ما لا يكون . وانى لأستحي من الله أن لا أجعل يمينى ويمينه فى صلاة الجمعة شفيما مثل المنذر فى ورعه وصدقته ولكنه اخرجنى ، فأقست وليوددت أن أجند سبيلا الى كفارة يمينى بملكى ، بل يلقى بالتسلسل

(١) المقرئ : صدر سابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٦ .

حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى ، فما اظننا نعتاض منه أبدا [(١)] .

تلك صورة رائعة من محاسبة العلماء للحكام ، وتلك هي الطريقة المثلى ، وذلك هو حكم الاسلام المفروض في وجوب محاسبة الحكام وفي تبليان وايضاح عاقبة الله تعالى لمن لم يقم به ويفسخ المجال له ، ولقد تسلك سلفنا الصالح بذلك حكما ومحكوسين فقاموا باداء المهمة على خير قيام .

ان محاسبة الحكام بالانكار على أعمالهم المخالفة لشريعة الله المتناقضة مع دين الاسلام لا تعنى الاساطة الى أشخاصهم لأن كسل البشر معرض للخطأ والزيغ والانحراف عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم . فالانكار عليهم يكون بمحاسبتهم وتقويم اعوجاجهم والسعيد من وعظ فاعتنظ . ويكون تقويمهم بقول لبن كما قال تعالى لموسى وأخيه عندما بعثنا الى الطاغية فرعون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ (٢) ۖ وَكَانَ النَّاصِرَ مِنَ النَّاسِ السَّعِيدَ ۝ (٣) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ ۝ (٢) ۖ وَيَقْدِرُ اكْبَارُنَا لِعَاقِبَةِ الْعَالَمِ الْخَطِيبِ الْخَازِنِ سَعِيد ، يكون اكبارنا لهذا الخليفة التقى الذى لا يستكبر عن الرجوع

(١) ابن خاقان : مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ، قسطنطينة ، ١٣٠٢ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجوالب ، ص ٤٠ - ٤١ - النباهى . تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٤٤ - ٤١ - المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة طه : الآية : ٤٣ - ٤٤ .

(٣) سورة الزمر : الآية : ١٨ .

الى الحق رغم قدرته على البطش والعزل ، وكل ما فعله ان لا يملأ
خلفه ولكن سرعان ما ندب على ما قرر فأعطى بذلك لابنه درسا واقعيًا
كان فيه لابنه قدوة حسنة ومثلاً يحذى به في الرجوع الى جادة الصواب.

وأحسن الناصر ان المبالغة في الانفاق على مدينة الزهراء بتلك
الصورة كان أمراً ينقصه الصواب ، وان الصواب في البعد عن التعادي في
الاسراف . وإذا لم يكن الحاكم متزنًا ومعتدلاً فلا أقل في ان يستمع
الى القول الحسن ، فأوضح بتصرفه ان الحرير على ملحة الدولة
ورئيسها ليس من يداهن ويخدع وإنما الحرير هو الذي يرشده الى
حيوة فكان هذا الموقف درساً رائعاً من الخليفة الى ابنه عرفه فيسه
أنواع الرجال ومن الجدير منهم بالادناء أو الاقصاء (١) .

لم يكن هذا الدرس وحده هو الذي تلقاه الحكم من أبيه فسي
حياته بل تكررت المواقف وتعددت التجارب خاصة مع الرجل العالـج
الشذري بن سعيد ولكن بطريقة أخرى . فعندما اتخذ الناصر [لسطح
القبيلة الصغيرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح المـرد
المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيماً ،
وقرمد سقفاً به ، وجعل سقفاً صفراً فاقعه الى بيضاء ناصعة تستلـب
الابصار بأشعة نورها] (٢) وجلس بعد اتمامها يوماً لأهل ملكته وقال

(١) عبد العزيز البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ، المدينة المنورة ،
١٩٦٦ م ، المكتبة العلمية - بيروت ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ،

ص ٢٥ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٨ .

لمن حضر مجلسه من الوزراء والاعيان وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنع من روائع الفن وبدايع المنعة : [هل رأيتم أو سمعتم بملك كسان قبلى فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟] وكعادة المتحذلقين والمداحين من الحاشية فى كل مكان وزمان ، كان رد هم واجابتهم واحد ، فقالوا له : انهم لم يسمعوا قط بملك فعل ما فعله . فأبهجه وأعجبه قولهم ودخله الزهو والكبرياء بما فعل . وبينما هم فى تلك الحالة من الابتهاج والسرور ان دخل عليهم القاضى المنذر بن سعيد وهو ناكس الرأس حزين النفس لما رأى وسمع فلما أخذ مجلسه قال له مثلما قال لوزرائه ، فانهمرت الدموع على لحيته ورد عليه ردا بليغا كله صدق وايمان ، قال له : [والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا البليغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وَفَضَّلَكَ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، حتى ينزل بك من الكافرين] (١) . ولكن الناصر انفعّل لقوله وقال له : [وكيف انزلسى منازلهم ؟] ، فرد عليه المنذر بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا * وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

فوجم الناصر ونكس رأسه ود موه تجسرى على لحيته خوفا وخشوعا لله عز وجل ، واقبل على المنذر وقال له : [جزاك الله يا قاضى هذا ومن

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف : آية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك ،
 فالذى قلت هو الحق] ، وقام من مجلسه مستغفرا متضرعا الى الله
 بالتوبة وأمر بنقض القبة واعادتها ترابا . وندم الناصر وهو أمير المؤمنين
 وأكبر شخصية في الدولة على سابق عمله ولم يتأخر عن الرجوع الى الحق
 والصواب مثل أى رجل من الرعية (١) .

هكذا كان العلماء مع الحكام حيث برزت صلايتهم في التمسك
 بدينهم والاعتزاز به . لقد هرب بالحكم هذا الموقف فوعاه جيدا كدرس
 تروى على في تراجع الحكام عن اعواجههم بنصيحة العلماء العالمين
 وصدق ارشادهم الى الصراط المستقيم . فمثل هذه الدروس العظيمة
 أدرك الحكم ان التقرب لتلك الفئة من السالحين وسماها لتماثلهم فيه
 الخير والسعادة .

وتمر العبر بجميع صورها ومعانيها ، فيتعظ بها الحكم ، سواء
 أيام كان وليا للمهد أم بعد أن صار خليفة حاكما للبلاد .

وتمر حادثة أخرى بالحكم حينما أصيب الناس بقطر شديد فسمى
 أخر عهد الناصر ، ودعى الناس للخروج لصلاة الاستسقاء طالبا لرحمة
 الله وغضوه ، وبرز المنذر بن سعيد مرة ثالثة لكى يلقى بالناس صلاة
 الاستسقاء بعد ان استعد لها بالصوم ثلاثة أيام يناجى فيها ربه ويستغفره

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٩ .

ويتضرع اليه ثم اجتمع الناس في صلى الربيع بقرطبة (١) ، ولكن المنسذر الخطيب والامام أحب قبل أن يبدأ صلاته وتضرعه الى الله أن يطلع على حال أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فقبل له : [ما رأيك في قسط أخشع منه في يومنا هذا فإنه منتبذ حائر منقرض بنفسه لا يسأله أحد الثياب مفتترش الشراب ، وقد رمى به على رأسه وعلى لحيته ، وكفى واعسترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيديك ، أتراك تعذب بس الرعيعة وأنت أحكم الحاكمين ؟ لن يفوتك شيء مني] (٢) . فعندما علم المنسذر بذلك تهلل وجهه بشرا وقام في الناس خطيبا واعظا وأدرك تماما أنه إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السما ، وبشر الناس بالسقيا والقيث ولم ينصرف من صلاة الا والقيث قد هطل منة ورحمة من الله (٣) .

لقد كان لهذا الموقف أثره الكبير في صقل حسه الديني ، فأدرك جيدا ان صلاح الراعي في قربه من الله ، وعرف ان الرعيعة دائما تكون

-
- (١) اتخذ المسلمون منذ الفتح الاسلامي بقرطبة صلى لهم ، والمصلون في المدن الاسلامية عبارة عن ساحة فسيحة يجتمع فيها المسلمون لاداء الصلاة ، كصلاة الاستسقاء ، أيام الجذب والجفاف وصلاة العيد في العراء ، وكان صلى الربيع يومى هذه الوظيفة في تلك الأيام .
(السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧) .
- (٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٨ .
- (٣) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١١٧ - ابن خاقان : المنسذر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج ٧ ، ص ٨٢ .

على دين ملوكها فان صلحوا صلحت وان فسدوا فسدت . وادرك ان نصائح
العلماء للحكام هي للحكام أنفسهم لا عليهم وانها تجنبهم الوثوق فسي
الاجل . فالحاكم السليم يعلم ان كل خطأ جالب للآثم يسيء للرعية
التي أولته أمرها ليحسن رعايتها . وهكذا استطاع الحكم ان يدرك ان في
تقريب أهل العلم والعلماء الفضل الكبير في البعد عن الزيف (١) ، فأخذ
يقرب العلماء في عهده الزاهر ويسمع منهم طمغه ورعايته فكان عهده
عهد العلم والعلماء . وكان هذا كله ثمرة لما أراد له أبوه —
ان يكون نعم القدوة لرعيته .

وننتقل الآن وبعد التعرف على الحياة التي عاشها الحكم فسي
ظل أبيه الى التحدث عن اخلاصه للعرش وتوليته الخلافة .

(١) عبدالعزيز البدرى : مرجع سابق ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة

فى اليوم الذى توفى فيه عبد الرحمن الناصر فى الثانى أو الثالث من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، تولى ابنه الحكم الخلافة ، وكان يومئذ فى الثامنة والأربعين من عمره تقريبا ، وبويع البيعة الخاصة من اخوته وكبار رجال الدولة والقصر ، ثم بويع البيعة العامة بعد ذلك .

البيعة الخاصة : وأول من بايعه بالخلافة أكابر الفتيان المقاتلة كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم ، وقد تكفلوا بأخذها على من دونهم وتحت أيديهم ومن طبقتهم وغيرهم ، وبعد ذلك قسام الكتاب والوصفا والعرفاء فبايعوه . ولما اكتملت بيعة أهل القصر تقدم الحكم الى كبير دولته جعفر بن عثمان المصطفى (١) يطلب اليه النهوض الى شقيقه أبى مروان عميد الله ليأمره بالحضور ، وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير الى أبى الأصمغ عبد العزيز شقيقه الثانى ، وأمر غيرهم من وجوه القوم باحضار اخوته الباقين فوضوا اليهم بكتيبة

(١) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيله القيسى ، كان لطيف المنزلة عند الحكم المستنصر بالله ، قديم الصحبة قريب الخاصة ، وكان أول سبب ذلك تأديب والده للحكم فى حياة الناصر ، ولما أفضت الخلافة الى الحكم قلده خطة الوزارة ، وأضاه على الكتابة الخاصة ثم جمع له الكتابه العليا بالخاصة ، وولى ابنه الاعمال الكبار . وكان جعفر أحد شعراء الاندلس المحسنين .

ابن حذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ - الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس ، القاهرة ١٩٦٦ م .
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٨٧ .

من الجند ليأتوا بهم جميعا الى مدينة الزهراء ، وكان عدد هم يومئذ
ثمانية اخوة فحضروا جميعا الى الزهراء ونزلوا في دار الطك . وبعد
ذلك قعد الخليفة المستنصر بالله ووصل اليه اخوته فبايعوه ، واستمعوا
لصحيفة البيعة وتعاهدوا بالايمان المنصوصه . ثم بايع بعد ذلك
الوزراء وأولادهم واخوتهم ، ثم أصحاب الشرطة ، وطبقات أهل الخدمة ،
وجلس الاخوة والوزراء ووجوه القوم ، وقام عيسى بن فطيس وهو من كبار
رجال الدولة ليأخذ البيعة من الجميع بعد أن جلسوا في مجلس الخليفة
على حسب مراتبهم في الدولة وأخذت البيعة منهم جميعا . ولما تمت
البيعة انصرف الجميع الا الاخوة والوزراء وأهل الخدمة مكثوا حتى دفن
الناصر . وهذه الصورة انتهت البيعة الخاصة للحكم المستنصر .

البيعة العامة : في شهر ذي الحجة من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، تكررت
الوفود من جوانب الاندلس وقواعدها ، واجتمعت بباب الحكم المستنصر
للبيعة ، فأذن لهم بالدخول الى مجلسه بمحضر من جميع الوزراء والقضاة
فأخذت له البيعة (١) .

وهكذا تولى الحكم الخلافة دون ان يقف في وجهه أحد من
أهله أو اخوته أو أقربائه أو غيرهم . وقد جلس في البهو الأوسط من
الابهاء المذهبة في السطح المزدق بايعه الجميع من رجاله وخاصته
واخوانه والوزراء وأولادهم وأصحاب الشرطة وكبار رجال الدولة في جلسه
يسودها الاخاء والصودة .

(١) المقري : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٥ .

ولقد أبدع الشعراء في وصف ذلك اليوم البهيج يوم ولا يتسه ،
فقال اسماعيل بن بدير الذي كان قد تولى أشبيلية للناصر :

لئن غربت شمس لقد طلعت شمس
فما في صلاح الأرض ريب ولا لبس
ستنصر بالله دان لظكمه
وأيامه المأمونة الجسن والانس
تولى أسير المومنين فأصبحوا
وما بينهم نجوى بعدوى ولا هس
فلا سقيت أرض بغير سحابه
بلالا ولا سرت لسكانها نفس
وان شد حلس لا يكون ثابته
فلا انهفت يوما بمن شد ، غس (١)

وهكذا تمت البيعة وقام الحكم المستنصر بإعلاء الخلافه عقب وفاة
أبيه . ولقد بدا حكمه بالنظر في تهديد سلطانه ، وتوطيد أمور مملكته ،
وترتيب أجناده ، وإصلاح طريقته وخطته في الحكم ، فحرص منذ أول يوم
على أن تتم مراسم البيعة فور وفاة أبيه وحرص على أن تبدأ بأهل بيته
وخصوصا اخوته حتى لا يبدو أي خلاف بينهم امام الرعية ولغ من حرصه
على ذلك أن ارسل الى اخوته قطعا من الجند حتى لا يفكر أحد منهم
بالخروج عليه أو التصل من بيعته فيبدو امام الرعية بمظهر لا يحسد

(١) سيمون حايك : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

عقباء ، ولما اكتمل عدد هم وصاروا كالعقد المنظوم تحت البهجة الخاصة له . فهذا موقف ودرس عظيم وعاء المستنصر من أبيه الناصر ، وهو انه ليس في مصلحة الحاكم ان يبدو أى خلل في صفوفه امام الرعية ، واذا وجد شئ من ذلك يجب بستره نهائيا وبصورة سريعة كما فعل الناصر مع ابنه عبد الله . ولقد حرص المستنصر على ابقاء جهاز الدولة كاملا مثلما كان في عهد أبيه لثقة بقدره أبيه في اختيار الرجال الافذان .

وتولى الحكم المستنصر الخلافة وهي على أسس ثابتة راسخة وطبيعية حال من الاستقرار والرخاء لم تعهد لها الدولة قط .

وعقب توليته الخلافة ولى الحكم المستنصر جعفر المصطفى حجابته وقد ظل في منصبه طوال سنوات خلافته . وقد أهدى جعفر المصطفى للحكم المستنصر يوم توليته الحجابة هدية كبيرة تدل على مدى ما كانت عليه الدولة وتثقل من الرخاء والرفاهية (١) .

ولقد تولى الحكم المستنصر الخلافة وهو في سن الثامنة والاربعين ، أى في الوقت الذي تكاملت له مزايا الرجل الخبير المحنك التي أعطته على تصريف الشؤون الخاصة بالخلافة . فضلا عما كانت عليه الدولة من ازدهار واستقرار وقت ان تركها له أبوه فلم تعترضه الشورات الجامحة التي اعترضت أباءه في العشرين سنة الأولى من عهده ، بل ورث دولة

(١) المقري : المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

مؤسدة الأركان تحكمها حكومة مركزية قوية .

ويعد ان بوسع الحكم المستنصر بالخلافة واستقرت له الأمور التفتت
الى أمور ملكته لضبطها ، والى أعدائه لمحاربتهم ، والى جميع مرافق
الدولة للاشراف عليها والعناية بأمورها .

* *

الفصل الثاني

جهاد الحكم المستنصر ضد المماليك والإمارات

الأسبانية النصرانية وضد النورمان

(١) نظرة عامة من أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالاندلس حتى نهاية عهد الرحمن الناصر .

(٢) علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانية النصرانية :-
أ - جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وإمارة قشتالة .

ب - عهود السلام بين الحكم المستنصر وملوك الأسبان وأمرائهم النصارى .

ج - نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى لعهود السلام وعودتهم إلى شن الغارات على الأراضي الإسلامية .

(٣) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان :-
أ - النورمان وغاراتهم على الأندلس قبل عهد الحكم المستنصر .
ب - غارات النورمان على الأندلس في عهد الحكم المستنصر .

(١) نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها

بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر

لو تتبعنا بداية ظهور خطر الامارات الأسبانية النصرانية لوجدنا أنها في بداية الأمر قد استقرت واعتصمت بالجبال ، ولم تستطع التوسع والانتشار جنوبا بسبب خوفها من المسلمين الأقوياء في تلك الفترة الأولى من حكمهم ، ولكن بمرور الوقت واختلاف الأوضاع تجددت الأطماع مرة أخرى بسبب انشغال المسلمين وانقسامهم على أنفسهم ، فبدأ الأسبان بالتطلع الى الامتداد الى المناطق المجاورة ، وخصوصا أن تلك الامارات النصرانية كانت قريبة من أوروبا وعلى اتصال بفرنسا والبابوية والعالم الكاثوليكي . ولقد ساعدها هذا الاتصال والقرب على تدعيم قواها من الناحيتين المادية والروحية ضد دولة الاسلام في الأندلس . ففي جليقية (فالسيا) تلك المنطقة الجبلية التي تقع في شمال غرب شبه جزيرة ايبيريا قامت الانطلاقة الأولى لحركة الاسترداد الأسبانية تحت راية النصرانية ، وظهر ذلك جليا في حروب الأسبان النصارى للمسلمين في الأندلس التي طغمت بكل صور العداوة والكراهية المتمثلة في نفوسهم للمسلمين (١) .

وفي أواخر عصر الامارة بالأندلس ضعفت سلطة أمراء بني أمية وانقسمت الأندلس الى امارات مستقلة ، وقام الصراع بين هذه الامارات

(١) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٩ .

ضد بعضها البعض، وحينما آخر بينها وبين حكومة قرطبة . أما بالنسبة للممالك الأسبانية النصرانية فقد انقسمت ملكة جليقية النصرانية واستقل عنها الباسك والنافاريون وكونتوا ملكة نبرة (نافار) ، وظهرت إمارة قطلونية في الشمال الشرقي لأسبانيا النصرانية ، ثم قام الصراع بين هذه الدويلات المسيحية ، واستعان بعضها بالمسلمين في الأندلس ، أما البعض الآخر فقد استعان بالفرنجة في صراعهم ضد بعضهم الآخر . ولقد أدى هذا التشابه في الأوضاع السياسية لكل من الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية في أواخر عصر الإمارة إلى وجود توازن بينهما على الصعيد العسكري والسياسي .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تغيرت الموازين وتبدلت الأمور ومال الميزان والقوة إلى جانب الممالك الأسبانية النصرانية ، حتى وصلت حدودها إلى نهر دوبرة ، برغم محاولة الإمارة الأموية القيام لصد هجمات النصارى على الأندلس (١) .

وبعد تولى الأمير عبد الرحمن الناصر وإعلانه للخلافة تحول الميزان السياسي طوال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في جانب دولة الإسلام في الأندلس ، وذلك لعدة أسباب منها : أن دولة الإسلام في الأندلس أصبحت في عصر الخلافة دولة موحدة ، تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة هي الخلافة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر

(١) على عبد الله القحطاني : الدولة العاصمية في الأندلس . دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٢٢ .

الذي استطاع ان يقضى على الثورات في الأندلس ، ووجد الاراضى
الأندلسية وجعلها تحت حكمه . وقد استمرت وحدة الأندلس وتفرقت
العسكري على الممالك الأسبانية النصرانية طوال عهد الخلفتين عبدالرحمن
الناصر وابنه الحكيم المستنصر ، وما ساعد على ذلك انقطاع ساعدة
ملوك الفرنجة لسيحي شمال اسبانيا ، بسبب ما عقد بين أسراء بني أمية
وبين ملوك فرنسا من معاهدات تنص على ألا يتدخل أى منهما فى
شؤون الآخر نظير أن يتخلى المسلمون عن برشلونة . ومن هذه الأسباب
أيضا انقطاع أسراء الثغر الأعلى الأندلسي (١) عن ساعدة نصارى الشمال ،
ما ساعد على ازدياد ضعفهم ، وبالتالي ساعد على قوة الخلافة الأموية
وسيطارتها على الأندلس .

وكانت الخلافة الأموية مطبوعة فى شخص عهد الرحمن الناصر قد نجحت
فى أن تسيطر على أسراء المسلمين ، وقامت على نفوذهم سواء كانوا من
العرب أم البربر أم العولدين ، بعكس الشمال النصراني الذي كان فيه

(١) الثغر : مفرد ما ثغر وهو كل موضع قريب من ارض العدو يسمى ثغرا ،
كأنه مأخوذ من الثغرة أى الفرجة فى الحائط . وكان يدير مناطق الثغور
ويشرف عليها لبعدها النسبي عن قرطبة وقربها من ارض العدو وقبوان
عسكريون تحت امرتهم جيش يلقى عليه جيش الثغر وهم دائما على أهبة
الاستعداد ان وكلت اليهم مهمة مراقبة تحركات الاعداء وصد جيشهم وكان
فى الأندلس فى عهد الامارة ثلاثة ثغور :-

أ (الثغر الاطلى أو الاقصى ويواجه مدينة برشلونة ومملكة نافار وعاصمته سرقسطة

ب (الثغر الادنى : وكان يواجه منطقة جليقية النصرانية وكانت عاصمته
مدينة بلبوس .

ج (الثغر الاوسط : يواجه مملكة ليون وقشتالة وعاصمته طليطلة .

ولكن فى عصر الخلافة لم يكن يوجد الا ثغران وهما الاطلى والاوسط ،
وللمزيد من المعلومات انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦ ، ٣٤٢ -

٣٤٣ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م ، دار صادر ، ج ٣ ، ص

النبله* يقومون بدور كبير في مساعدة امير خند آخر ، وفي اذ كـ...
 الاضطرابات والفتن ، وخصوصا في سلطنة ليون . وقد تمثلت قوة النبلاء
 في كونت قشتالة الذي استطاع الاستقلال بامارتها ومعارضة ملكتي نبرة
 (ناكار) وليون طوال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . هذه
 الاسباب مجتمعة أدت الى قوة الخلافة الأيوبية وازداد نفوذها مساويا
 في الاندلس أم في دول الشمال النصراني (١) .

وفي شىء من الاجاز نتعرف على أحوال هذه الممالك الاسبانية
 النصرانية في هذه الفترة المعاصرة لموضوع بحثي حتى تتضح لنا
 علاقاتها بالاندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر .

سلطنة ليون :- وتقع في الشمال الغربي بين المحيط ونهر دويره ،
 وكانت من الممالك القوية التي تولت قيادة اسبانية النصرانية في فـ...
 أراضي المسلمين ، وخصوصا في فترة انقسامهم . وفي بداية القرن
 الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت هذه السلطنة تهدد وجـ...
 الخلافة الاسلامية ، وخاصة بعد ان تولى عرش ليون اردون بن الفونشسي
 الثالث الذي أغار على الثغور الاسلامية وعقد حلفا مع سلطنة نبرة . ولكن
 ما لبث ان توفي ، فاشتعلت الحروب بين ابنائه ، وكانت فرصة عظيمة

(١) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الاندلس والممالك النصرانية
 منذ عصر الامارة حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه مقدمة
 الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

استغلها عبد الرحمن الناصر في القضاء عليهم . ثم ما لبثت ان عادت الحرب الاهلية بينهم من جديد بسبب تنازل الفونس الرابع ابن اردون لأخيه ردمير الثاني (٣٢٠ - ٣٤٠ هـ / ٩٣٢ - ٩٥١ م) (١) .

وكان ردمير ملكا حاقدا على الاسلام وأهله فقام بمواصلة الحرب ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر متعاوناً مع حلفائه في ملكه . وهنا وللمرة الثانية قام عبد الرحمن الناصر لحربهم ، وانتهت تلك الحرب للأسف بهزيمة المسلمين في موقعة الخندق التي وقعت ضد خندق مد ينة شنتقة (شنت منكش) . وفي سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م خرج عبد الرحمن الناصر لحربهم ، لان تلك الهزيمة لم يكن لها تأثير طيب ، فقد استمر في صراعه مع نصارى الشمال الاسباني حتى انتصر عليهم ، وأبعدهم عن موئديهم . ولقد استمرت الحرب الاهلية في ملكة ليون بسبب قيام كونت قشتالة فرنان جونثالك في عام ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م بحركة انفصالية عن ملكة ليون ، ولكن تلك الحركة منيت بالافراق ووقع الكونت في الأسر ، فقامت في قشتالة ثورة أخرى ضد ملكة ليون ، انتهت بنجاح القشتاليين في فك أسر زعيمهم الذي ارتبط مع ملكة ليون بعقد مصاهرة . ثم توفي ردمير عام ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، ونشبت الحرب الاهلية مرة أخرى ، واستغل عبد الرحمن الناصر تلك الظروف وأطس عليهم شروطه كما يريد ، خصوصا لأن الحرب كانت قائمة بين ردمير وهمسنا

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج٣ ، القسم الاول ، ص ٩٣١ - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

اردون وشانجه ، وهذا قدم شانجه الى الخليفة عبدالرحمن الناصر
 مع جدته طوطه آسلا في المساعدة لاسترداد عرشه ، اضطر اردون ابن
 ردميران يطلب الهدنة وان يعقد معاهدة مع الخليفة تعهد له فيها
 بالطاعة والولاء ، وكان ذلك في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م . ثم تفسرت
 الاحداث بموت اردون وتولى شانجه العرش ونقض معاهدته مع الناصر .
 كما انتهزت اماره قشتاله تلك الاهداف ، وطوقت الشوار في ملكة ليون
 طى الخروج طى ملكهم شانجه مما اضطره الى الالتجاء الى الناصر
 مرة أخرى . وقد أدت تطورات الاحداث في ملكة ليون طى هذا
 النحو ان تعلن اماره قشتاله استقلالها عنها (١) ، وانفصال اماره قشتاله
 عن ملكة ليون تشجع بعض النبلاء لنيل استقلالهم ، وكان ذلك منذ
 بداية النصف الثاني من القرن ٤ هـ / ١٠ م . ولكن الملك شانجه كان
 لهم بالمرصاد . بعد تلك الاحداث تولى شانجه تاركاً طى عرشه
 طفلاً لم يتجاوز الخامسة من عمره ، حكم باسم ردمير الثالث (٣٥٤ -
 ٥٣٧ هـ / ١٦٦ - ١٦٨٢ م) تحت وصاية عمه البيرة التي قدست طى الخليفة
 الحكم المستنصر وهذا ما سننقله فيما بعد .

ونستطيع ان نقول ان ملكة ليون انقسمت بين عدد من النبلاء ،
 مما أدى الى ضياع مكانتها وهيبتها بين الأسبان ، وقد استمر الصراع
 بين الأخوة المتنازعين طى عرش المملكة ، واستمر كذلك تدخل النبلاء

(١) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ -
 رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الى جانب هذا وذاك من الاخوة المتنافسين على عرش المملكة تسارة بالود وثارة بالمصاهرة الاجبارية ، مما أدى الى ان دب الوهن والضعف فى جسم المملكة حتى ان معظم ملوكها لم يحكموا الا بعد خضوعهم لـ خلفاء بنى امية ودفعهم الجزية وتقربهم للخلافة التى أصبحت ذات الكلمة العليا فى شؤون شبه الجزيرة الأيبيرية (١) .

أما ملكة نبرة (ناكار) ، وطاحتها مدينة بعلونة فقد كانت تتمتع بموقع جغرافى ممتاز بسبب قيامها فى منطقة المعابر الجبلية التى كانت تربط اسبانيا بأوروبا ، كما كانت على اتصال بفرنسا وبالبابوية . وفى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر كان فى حكم نبرة شانجة ابن غرسية الأول (٢٩٢ - ٣١٣ هـ / ٩٠٥ - ٩٢٥ م) ، وهو أول من اعلن انه ملك من امراء نبرة ، وبه بدأت ملكة نبرة الحقيقية واليه تنتمى الاسرة الملكية التى ضمت اليها ليون وقشتالة ، وكان ذلك فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ولقد تميز وضع ملكة نبرة عن الممالك والامارات الاسبانية الأخرى ، ان تميزت باستقرار الحكم فيها وعدم قيام نبلاتها بالتمرد ضد ملوكها . كما ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع كل من ملوك ليون وكونتات قشتالة وامراء بنى قسى المسلمين ، فساعدوا ذلك على الوقوف امام اطماع جيранها سوا كانوا من المسلمين أم من الأسبان النصارى . ولم يقتصر نشاط شانجة الاول على

(١) Abdurrahman Ali El-Hajji : Andalusian diplomatic relations with western Europe during the Umayyad Period (A. H- 138-366/ A. D. 755-976), Dar Al-Irshad, Beirut, 1970, P. 70.

الهجوم على المناطق الإسلامية فحسب ببل كان كثيرا ما يتدخل فسي
أسور ملكة ليون عن طريق مساعدة امير غند آخر ، ووفاته ترك طيسى
عرشه طفلا صغيرا يسمى غرسيه (٣١٤ - ٣٥٩ هـ / ٩٢٦ - ٩٦٩ م) قامت
جدته الملكة طوطة بالوصاية عليه كاتبة للملك ، ولقد حاربت هـــــ
الملكة العنيدة الخلافة ثلاثين عاما ، تحالفت فيها مع ملكة ليسون ،
واشتركت معها ومع امراء النصارى الاسبان الآخرين في هزيمة المسلمين
في معركة الخندق . وقد سبق ان ذكرنا انه بوفاة رديس ملك ليسون
قامت الجرب بين ولديه اردون وشانجه (١) . وقد انتصر اردون في هــــ
المغرب ، ثم دعم انتصاره بتحالفه مع عبد الرحمن الناصر ، اما شانجه ففسر
الى جدته طوطة التي دعمت مركزه بالصلح أيضا مع الخليفة عبد الرحمن
الناصر واعادته الى حكم ليون بعد وفاة اردون في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٦ م .
ولم تنته المشاكل عند هذا الحد بسبب منافسة ابن عمه اردون الرابع
له الذي استطاع بمساعدة القشتاليين طرد ، فعاد مرة أخرى الى
جدته الملكة طوطة . ولما كانت ملكة نيرة لا تستأيع مواجهة ملكة ليون
وقشتالة بفردهما فقد رأت الملكة طوطة في الخلافة الإسلامية خير مقلد
لها من تلك المشاكل ، فتناست هذا كلها وخلاقاتها وكراهيتها للمسلمين
وقررت اللجوء اليها ، وكان عبد الرحمن الناصر آنذاك أقوى رجل في
اسبانيا كلها ، واصطحبت معها شانجه (٢) . ويروى ان شانجه هــــ

(١) وكان اردون هذا من أم جليقية وشانجه من أم ناغاريه هي ابنة الملكة
طوطة .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ - وجيب
محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢ .

كان رجلا مغرط السنه لدرجة انه كان لا يستطيع ركوب الخيل ، ممسا
 جعل شخصيته مضحكة في نظر شعبه ، وقد أدى ذلك الى فقـسـدان
 عرشه وتفوق اخيه عليه . وكان عليه لاسترداد مكانته ان يعمل على
 تحقيق أمرين :

(١) علاجه من تلك السنه .

(٢) تكوين جيش يساعد على استرداد عرشه .

ورأى شانجه ان هذين الأمرين لا يمكن تحقيقهما الا في مكان واحد وضد
 رجل واحد هو الخليفة عبدالرحمن الناصر وخصوصا ان قرطبة كانت
 مقدمة في الطب عن أي بلد آخر (١) . وهكذا استطاعت جدته الملكة
 طوطة ان تقدم له العون فأرسلت مبعوثين للخليفة عبدالرحمن الناصر
 ليوضحا له الأمور . ولقد اشترط الخليفة طيها تسليم بعض القلاع
 لقرطبة ، ثم تلا ذلك حضور الملكة وابنها وحفيدا في عام ٣٤٧ هـ /
 ٩٥٨ م لوضع المعاهدة في شكلها النهائي ولاتمام علاج شانجه السذي
 كان قد بدأ في نبرة على يد طبيب عبدالرحمن الناصر وهو حسداى
 ابن شبروط . ولقد احتفل لقدومهم وعقدت بينهم اتفاقية اتفق بمقتضاها
 على :

(١) تسليم عشرة قلاع على الحسدود .

(٢) عدم مهاجمة أراضي المسلمين .

(٣) مساعدة شانجه على استرداد عرشه .

وهكذا تمت المعاهدة واستطاع شانجه استرداد عرشه ، وكان ذلك في عام ٣٤٩ هـ بمساعدة الرجل الأول والسيد الطاع في اسبانيا كلها عبد الرحمن الناصر (١) .

امارة قشتالة : وكانت قشتالة ولاية من ولايات ملكة ليون ، وكانت تقع بين ملكة نبرة وملكة ليون والثغور الاسلامية من ناحية الجنوب ، وبواجهتها من الثغور الاسلامية قلعة ايوب ، ومدينة سالم ، والثغور الأوسط ، وكانت بسبب موقعها المتوسط معبرا للجنود الاندلسيين في عصرى الامارة والخلافة عند مهاجمتهم لملكة ليون أو نبرة . ولقد سميت قشتالة في الروايات الاسلامية بمنطقة البية والقلاع بسبب وجود العديد الكبير من القلاع فيها (Casteles) التي انشأها القشتاليون لمسدد الهجمات عليهم ، ومنها جاء اسم المنطقة نفسها ، فسميت بمنطقة قشتالة (Castilia) . وظهرت أهمية قشتالة نتيجة لتوسع ملكية ليون جنوبا وشرقا في عهد الملك الفونس الثالث الذي وصل بحمدود ملكه الى نهر دويرة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وقامت امارة قشتالة على اتباع اسلوب المصاهرة مع كل من نبرة وليون لكن تضمن لها حليفا اذا ما احتدى عليها أحد الطرفين . كما تمسرت

قشتاله بمميزات لم تتوفر في ملكتي ليون ونبرة ، فكان الحكم فيها
وراشيا لا يتخلله صراع ، وقد رأس امارة قشتالة مؤسسها فرنان جونزالس
الذى قاد الصراع مع ملكتي ليون ونبرة حتى احبره القشتاليون بطاسلا
قوسيا وخلصوا اسمه في اشعارهم وأساطيرهم . وكانت بداية المشاكل بين
ملكة ليون وقشتالة عندما قام الملك الفونش الثالث ملك ليون بتوزيع
ملكته بين ابنائه الثلاثة في عام ٢٩٦ هـ / ٩١٠ م ، وضم قشتالة الى
أحد أبنائه بغرض كسر شوكة القشتاليين ، ولم يكتف بذلك بل قسم
باعداد كثير من نبلائهم وزعمائهم . ولقد صحت قشتالة على مفض حتى
استطاع زعيمها فرنان جونزالس ان يستغل الاوضاع السيئة التي تمر بها
ملكة ليون ، فعمل على توحيد قشتالة عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م وجعلها
امارة مستقلة بحدودها وكيانها . وبعد انتهاء الحروب الأهلية
الليونية بقي رد مير الثالث امام امير قشتالة ، فلم يجد سواه ليتحالف
معه ضد هجمات المسلمين في الاندلس . ولقد كان هذا هو الوضع
السائد حينما تولى الخليفة عبد الرحمن الناصر الحكم ، فوجد نفسه
امام حلف قوى يجمع بين ملكتي ليون وقشتالة اللتين تناسيتا احقادهما ،
وقررتا حرب المسلمين . واستغل هذا الحلف فترة انشغال عبد الرحمن
الناصر في توطيد أمور دولته ، فاحتل بعض أراضي المسلمين ، وقسم
بمهاجمة الشمر الأعلى سرقسطة ، فقرر عبد الرحمن الناصر الخروج لحرب
الليونيين والقشتاليين فلحقهم دروسا قاسية ، ان هاجم بلادهم وهبدم
حصونهم واستعاد منهم كثيرا من بلاد المسلمين (١) .

(١) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٩١٠ - رجب محمد

عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - Abdurrahman Ali

El-hajji: Op. Cit., P. 70.

وهكذا نرى ان الأوضاع الداخلية السيئة التي كانت تمر بها الممالك
 الأسبانية النصرانية في شمال اسبانيا كانت تساعد خلفاء بني أمية
 في الاندلس على القيام بدورهم على أتم وجه . هذه هي صورة مختصرة
 عن العلاقات بين هذه الممالك الأسبانية النصرانية والاندلس قبيل عهد
 الخليفة الحكم المستنصر .

(٢) علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأيبانية النصرانية

أ - جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة لیسون ،
ومملكة نبرة ، وإمارة قشتالة :

عرفنا كيف أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أعان الملك شانجه ملك لیون وابن اردون الثاني على استرداد عرشه مقابل تسليم عدة حصون استراتيجية على الحدود للخليفة . ولكن بوفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر ظن شانجه أن الأسر قد تغيرت ، والأحوال قد تبدلت وأنه أصبح في حل من العهود التي قطعها على نفسه ، وأن له الحرية في الخروج على المسلمين ، فأخذ يهاطل في تسليم الحصون اعتقاداً منه أن الخليفة الجديد ربما يكون رجلاً ضعيفاً ليس له في أمور الحرب والفروخ خبرة . وبينما كان شانجه يعتقد العزم على نقض ما قام به والخدر على ما أوتى عليه ، ونفسه على الخليفة الحكم المستنصر اردون الرابع ملك المخلوع الذي كان قد خلعه أبوه عبد الرحمن الناصر ليثبت حكم شانجه (١) .

وكان اردون الرابع قد لجأ إلى الحكم المستنصر لمعاونه على استرداد عرشه خصوصاً بعد أن ظم بنية شانجه على الخدر وعدم تسليم

(١) محمد عبد الله غان : دولة الاسلام في الأندلس ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ٤٨٤ - أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلس ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٢٣٤ - Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 76-77.

الحصون ، وأنه بدأ في الاستعداد لحرب المسلمين ، حيث تحالف مع ملكة نبرة ، وامارة قشتالة (١) . اما عن التجاء اردون الى الحكم المستنصر فيروي لنا ابن عذارى عن احداث سنة ٣٥١ هـ [وفد على المستنصر بالله اردون بن اذفونش الاحدب من ملوك الجلالقة المنازع لابن عمه شانجه بن ردمير سابقه التي ولاية ملكهم فبالغ في اكرامه في خبر طويل وكان للفصحاء في ذلك مقامات واشعار يطول الكتاب بذكرها . فمن قول عبد الملك بن سعيد في قصيدة :

مَلِكُ الْخِلَافَةِ اَيَّةُ الْاَقْبَالِ	وَسَعْدُ مَوْضُوءٌ بَتَوَالِيهِ
فَالسَّلْمُونَ بِعِزِّهِ وَبِرَفْعِهِ	وَالْمُشْرِكُونَ بِذِلَّةٍ وَسَفَالِ
الْقَتُّ بِأَيْدِيهَا الْاَعْجَمُ نَحْوَهُ	مَتَوَقِّعِينَ لَصَوْلَةِ الرَّثْبَالِ
هَذَا امِيرُهُمْ اَتَاهُ آخِذًا	مِنْهُ اَوْاصِرُ نَمَةٍ وَحِبَالِ [(٢)

وتفيض الرواية الاسلامية في مقدم اردون ومثوله بين يدي الخليفة الحكم المستنصر وطريقة استقباله له ، فيقول المقرئ [فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به ، فاحتفل لقدمه وعسى العساكر ليوم وفادته ، وكان يوما مشهودا ، وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله . ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ،

ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

ملقباً بنفسه (١) ، وعاقده على مولاة الاسلام وقاطعة فردلند القوميس ،
واعطى على ذلك صفقة يمينه ، ورهن ولده غرسيه ودفع الملات والحملات
له ولأصحابه ، وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة
عند رعيته ويقبضوا رهنه [(٢)] .

لوناظرنا يتعمن ، وحللنا ما فعله اردون مع عبد الرحمن الناصر ثم مع
ابنه الحكم المستنصر لأن ركنا ان اردون لم يفد على الحكم المستنصر
الا لعلمه بقوته وقدرته على أن يكبح جماح شانه خصوصاً ان اردون أصبح
فى مركز الضعف ، فلجأ الى الاسلوب الأكثر نفعا فتهزأ غرصة غـرـوج
شانه على العهد ليتقرب وليرضى بمساعدة الخليفة بدلا من حربته
والخروج عليه . وبالفعل ففى نهاية شهر صفر من عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م
وصل الى قرطبة اردون واستقبله الخليفة كما ذكرنا استقبالا فخما ، وعبر
عن مجيئه ورغبته فى الاتحاد مع المسلمين وتقوية روابط المحبة والصداقة
معيهم ومساعدته على استرداد عرشه ، وعهد ان اطمأن على تحقيق
أغراضه عاد من حيث أتى محاظا بالحفاوة والترحيب محملا بالهدايا
التي أمر بها الخليفة بعد ان أطمى عليه شروطه وهى :-

(١) ان يضع نفسه وولده تحت رعاية الخليفة الحكم المستنصر .

(٢) ان يقدم ولده غرسيه رهينة لوفائه (٣) .

ولقد نجحت خطة الخليفة الحكم المستنصر وسياسته فى تخويف شانه بعد

(١) ملقباً بنفسه : أى ستجداد به طالبا عونه .

(٢) المقرئ : نفع الطبيب ، ص ٣٦٠ وللزيد من المعلومات ارجع الى نفس
الطبيب ص ٣٦٥ - ٣٧١ .

(٣) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 77-78.

سماعه بسفارة اردون ، فقام بإرسال سفارة هو الآخر الى الخليفة . وعن هذه السفارة يقول ابن عذارى : [وصل قرطاية ارسال شانجه بن رد مير منازع الطاغية اردون ابن عمه ملك الجلالقة ومعهم عبد الرحمن بن جحساف قاضى بلنسية وايوب بن الطويل وغيرهما ، فتوصلوا اليهم الى الحكم المستنصر فى ربيع الآخر ، ووصلوا كتاب شانجه بن رد مير بجواب ماخطب فيه ويحثه على عقد ها على نفسه وجميع أهل سلطته لأمر المؤمنين المستنصر بالله] (١) . وبعد تلك السفارة حدث ما لم يكن فى الحساب ان توفى اردون فى نهاية عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م وعاد شانجه لتكسره لوعوده مرة أخرى بعد ان تبددت مخاوفه . وبعد تلك الاحداث شعر الامراء النصارى الاسبان انه لا بد لهم من التكتل والتحالف سوريا والقيام فى جبهة واحدة ونسيان شاكلهم وحروبهم خصوصا بعد أن أصبح شانجه أقوى شخصية بين ملوك وأمرأ الاسبان (٢) . وكان شانجه ممن أكبر المحمسين للقيام بدور صليبي ليعزز موقفه وليحمي زعامته بريقا وجاذبية فى العالم المسيحى بأجمع ، لذلك عزم على عقد محالفات مع الامراء النصارى وبدأ يعقد حلف مع قومين قشتالة وملك نبرة وقومين برشلونة وآخرين غيرهم . وامام هذا التحدى الظاهر قرر الخليفة الحكم المستنصر الخروج وعلان الحرب ضد بعد ان شاهد بنفسه نكته وتحالفه

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ - وانظر فى هذا المدد المقربى : تنقيح الطيب ، ص ٣٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(٢) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٢ .

مع الامراء الاسبان النصرارى (١) . وفق خلال تلك الاحداث خرجت اسارة
 قشتاله على ملكة ليون تطالب باستقلالها بزعامة فرنان جونزالث السندى
 خرج على شانجه ، واطن استقلال بلاده ، ونصب نفسه زعيما عليهم
 واخذ فى الاغارة على اراضي المسلمين المجاورة له وانضم اليه كثير من
 الامراء المتعصبين الكارهين للمسلمين . وبعد هذا المدوان الصاخ
 هاجم المسلمون قشتاله ، غمرت قشتاله نسيان خلافاتها والوقوف صفيا
 واحدا مع ملكة ليون بزعامة شانجه ، وانضم اليها غرسيه ملك نـسـبـرة
 (ناكار) وكونت برشلونة ، وبذلك أصبح المسلمون امام كتلة قوية تضم
 النصرارى بأجمعهم فى حلف واحد (٢) . وازاء هذا التحالف قرر الحكم
 المستنصر اعلان الجهاد ، وبدأ الاستعداد للخروج لقتالهم عام ٣٥٢ هـ /
 ٩٦٣ م ، واجتمعت جيوشه ورجاله فى البائالة ، وكانت أول غزوة لـه
 هى غزوة شنت استبن (Sante Steban) على نهر دويرة ، فحاصر
 المسلمون قلعتها واستولوا عليها (٣) . وبعد ذلك حاول فرنان جونزالث
 كونت قشتاله ان يقف جاهدا فى وجه المسلمين ولكنه لم يستطع ، فاجتاح
 المسلمون أرضه ومزقوا قواته كل ممزق حتى اضطر للخضوع وبالب الملبس
 بنفسه فصالحوه ، ولكنه كان صلحا وقتيا لأنه لم يلبث ان نكث كـمـادة
 الأسبان النصرارى فى الغدر وعدم الوفاء بالعهود ، فقام وهاجم المسلمين
 مرة أخرى . وكانت معاهدات السلام مع ملوك وامراء النصرارى الاسبان

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا والفتح حتى سقوط الخلافة ،

بيروت ، ١٩٨٠ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .

(٢) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .

(٣) ابن هزاري : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

سرعان ما تنقض بسبب عدم احترام هؤلاء لهذه المعاهدات (١) . ولذلك
 ما لبثت الحرب ان استعرت مرة اخرى ومن المسلمون سلسلة من الهجمات
 على قشتالة في السنوات التالية (٢) . ولم يكف المسلمون وعلى رأسهم
 الخليفة الحكم المستنصر بما أحرزوه من نصر وانصر على اعداء الاسلام
 النصارى بل نراهم يهاجمون بلادهم مرة أخرى ، واستطاعوا ان يستولوا
 على بلدة انتيسة الحصينة . . وارسل الخليفة جيشا كبيرا بقيادة يحيى
 ابن محمد التجيبي حاكم سرفسطة في اتجاه نبرة ، وكان ملكها فرسسيه
 قد أغار على أراضي المسلمين ناكثا لعهد ، مع المسلمين ، فخرج حليفه
 وموئده شانه ملك ليون ليمد له يد العون ضد المسلمين ، فنشب
 بين الفريقين معركة هزم فيها النصارى ، وتحصنوا بالجبال ، وانتصر
 المسلمون انتصارا باهرا حتى عادت فتوحات الحكم المستنصر وقواد الثغور
 في كل ناحية ، وقد أصبحوا ينتقلون من ثغر الى ثغر ومن نصر الى
 نصر . وكان من أعظم الفتوحات أيضا في ملكه فتح مدينة قلمرية
 أو (قلمريه) (٣) من بلاد البشكنس وقد تم فتحها على يد القائد غالب
 مولى الحكم المستنصر ، ودخلها المسلمون وأمر الحكم المستنصر بتعميرها

(١) محمد عبدالله طان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ - ابراهيم
 بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣١١ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 79-80.

(٣) قلمريه : بالميم بلد بالاندلس من بلاد البرتغال ، بينها وبين قوره أربعة
 ايام وهي تقع على جبل مستدير ولها سور حصين .
 (الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٤) .

وتحصينها وشحنها بالرجال والعدد ، وصار فتحها فتحاً عظيماً (١) . ثم
كان فتح قادشيه أو (قطلونية) (٢) على يد القائد وشقه ، ولقد حقق
المسلمون في هذا الفتح نصراً عظيماً ، وغنموا غنائم كثيرة من الأموال
والسلاح والاقوات والأثاث ومن البهاشم والغنم والبقر والرمك (٣) (الفرس)
وكذلك أنواع عديدة من الأطعمة أما السبي فقد غنموا منه عدداً لا يحصى .

وفي سنة ٣٥٤ هـ سار القائد غالب مع القائد يحيى النجيبى ، وقاسم
ابن ذى النون وتوجهوا الى بلاد البه لفتحها . ولقد دخلها المسلمون
وفتحوها واستولوا على أعظم ما فيها وهو حصنها المعروف بحصن فرماج ،
وغنموا الى حوزتهم . وكان للتفوق العربى لجيش الحكم المستنصر اعظم
الأثر فى إعادة الأمن والاستقرار الى شتى الأندلس وأطرافها ، وهى
لدولة الاسلام فى الأندلس التفوق على الممالك والأمارات الاسبانية
النصرانية (٤) .

-
- (١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(١) قطلونية : هذه البلاد قائمة بذاتها من قديم الدهر ، وكثيراً ما كانت
مستقلة عن اسبانيا اما حدودها فهي تقع بين جبال البرانس من الشمال ،
وبلاز ارغون من الغرب ، وولاية بلنسية من الجنوب والبحر المتوسط من
الشرق .
(٢) شكيب ارسلان : الحلل الهندسية فى الاخبار والآثار الأندلسية ، بيروت ،
دار مكتبة الحياة ، المجلد الثانى ، ص ١٩٩ .
(٣) الرمك : الفرس أو البرذونه تتخذ للنسل وجمعها رمك ورماك .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٥٩ .

ب - عهد السلام بين الحكم المستنصر وملك
وامراء الاسبان النصارى :

بلغت هيئة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بين ملك الاسبان
النصارى وامرائهم بعد الحروب والمعارك التي دارت رحاها بين الطرفين
شأنا كبيرا لدرجة انهم أصبحوا حريصين كل الحرص على اكتساب مودتهما
باكثر ارسال الرسل اليهما في قرطبة لعقد معاهدات الصداقة معهما (١)
كما كانت الوفود الاسبانية النصرانية تسعى لنيل رضى دولة الخلافة
في الاندلس ، وعلى رأس تلك الوفود وفد ملكة ليون طالبا من الخليفة
الحكم المستنصر العون المادى والعسكرى والتأييد السياسى واستمرار
الاتفاقيات التي أبرمت معه . كما عقدت معاهدة سلام بين الحكم
المستنصر واردون بن اذفونشش ليون ، ونشا على هذه المعاهدة بعث
اردون ابن عمه شانجه بن ردمير الى الخليفة ليعلم له طاعته وطاعة
اهالى جليقية وسورة (٢) ، ورغبتهم جميعا في قبول وفادتهم واستمرار
وقفا العهد كما كانت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فتقبل
الحكم المستنصر طلبهم ، ولكن بعد ان اطلق عليهم شروط المسلمين
وهي ان تهدم الابراج والحصون القريبة من ثغور المسلمين حتى لا تشكل
أى خطر عليهم . ثم استقبل الحكم المستنصر بعد ذلك رسول ملك

(١) Abdurrahman Ali El-hajji : Op. Cit., P. 81

(٢) وهي دار ملكة الجلالقة ، تقع على ضفة نهر كبير ، وهي مدينة جليقية
وقاعدة من قواعد الروم .

(الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٨) .

برشلونه وطركونه ، وقد صحبهم قوم من الفرنجة راغبين في تجديد عهد
العهد واقرارهم على ماكانوا عليه من حسن الجوار ، وحاملين معهم
هدية للحكم المستنصر حرصا منهم على التقرب والتودد اليه . وكانت
هذه الهدية مكونة من :-

- (١) عشرين صبيا من الصقالبة .
 - (٢) عشرين قطارا من الصوف السمور .
 - (٣) خمسة قناطير من القصدير .
 - (٤) عشرة ادرع صقلية ومائتي سيف افرنجية .
- ولقد تقبل الحكم المستنصر هديتهم تلك ولكن بشروط هي :-
- (١) ان يهدوا الحصون التي بالقرب من ثغور المسلمين .
 - (٢) ان لا يظاهروا عليه أهل ملتهم .
 - (٣) ان يخبروه بما يكون من النصارى في الخروج على المسلمين (١) .

هكذا كان الخليفة المسلم يلقى شروطه وهو في موقف القوى على
هؤلاء النصارى الاسبان مراعى فيها مصلحة المسلمين . ثم توالى الوفود
بعد ذلك على الحكم المستنصر فوصلت رسل غرسيه بن شانجة ملك نبرة
في جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون تجديد الصلح معهم ، بعد
ان كان الحكم المستنصر قد توقف عن موافقتهم ، ثم وافقهم فرجعوا الى
بلادهم مسرورين (٢) .

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٦١ - ابن خلدون : المصدر السابق ،
ج ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٦١ .

وهكذا أصبحت قرطبة في عهد الحكم المستنصر مركزا للتوجيه
والاشعاع في شبه جزيرة ايبيريا ، وغدت مقصدا لملوك اسبانيا
النصرانية ، يغدون اليها ، ويقدمون لها عنود الطاعة والولاء ،
ويلتصنون منها العون والقوة ، وذلك منذ عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م (١) .

وهنا لنا وقفة صغيرة ، فعند ذكر وفود النصارى القادمين على
الحكم المستنصر يستحسن أن نقف قليلا لنرى ما وقع من تغيرات في
الممالك الاسبانية النصرانية بسوت بعضهم وتولى بعضهم الآخر . فقد
توفي شاذية سحوما سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، وخلفه على العرش الأفضل
رد مير الثالث الذي كان تحت وصاية عمه البيرة . وكان من نتيجة تولى
هذا الطفل الصغير ان طمع كثير من النبلاء في ملكة ليون لتحقيق
استقلالهم الشخصي ومطامعهم الذاتية . ثم توفي الكونت فرنان جونثالك
أسير قشتالة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م وخلفه ولده غرسيه . وكان تأثير هذه
الاحداث على اسبانيا المسيحية عظيما جدا فقد شجعت هذه الاحداث
على قيام كثير من الامارات الاسبانية المستقلة ، مما أدى الى اتساع
الخلافات بين الامراء الاسبان النصارى ، وكثرت المشاكل فيما بينهم ،
مما أدى الى تفرقهم شيئا واحزابا . وكانت الحالة بعكس ذلك في
قرطبة التي استمرت في تقدمها ونهضتها حتى أصبحت منبعا للعلم
ومركزا لوفود السفارات السياسية التي تسعى اليها طالبيه ودها ومداتها (٢)

(١) محمد عبدالله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op.Cit., P. 79 - 80 — محمد

عبدالله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

ولقد أدت هذه الخلافات القائمة بين ملوك وامراة اسبانيا النصرانية
الى توالى وفودهم على الخليفة الحكم المستنصر ، فقد وفدت عليه
وفود امير جليقيه ، وأسير اشتوريش ، وملك نبرة شانجه بن غرسسـه ،
يسألون الصلح فأجابهم الخليفة الى طلبهم . ثم وفدت رسل أمير
برشلونة (١) الكونت بوريل شونير Berrell Sunier لتجديد المودة
والصداقة ومعهم ثلاثون أسيرا من أسرى جمعهم في قاعدته وأطراف
دولته من الذكور والانات لعلهم بأن خليفة المسلمين يسره رجوعهم الى
مواطنهم وعودتهم الى أهاليهم . ويقض علينا ابن حيان كيف ان أمير
المؤمنين استقبل تلك الوفادة أعظم استقبال ، وكيف تم اللقاء الحافل
بينهم ، وانتهوا منه الى نتائج هامة كانت كالتالى :-

(١) معاونتهم ورغبتهم في طلب السلام واتمام معاهدة المداقسة
مع الحكم المستنصر .

(٢) عزم الخليفة الحكم المستنصر على مساعدتهم في حالة احتياجهم
له على ان يطلب منهم مساعدته في حالة احتياجه لهم .

(٣) سيطرته على القلاع التى تعتبر خطرا على الحدود الاسلامية .

(٤) الامتناع عن مساعدة جماعاتهم الدينية .

(٥) ان يحذروا المسلمين من أى اطماع أو هجوم أو أى خطة تعسك
ضدهم .

(١) وهى مدينة للسرور بينها وبين طركونه خمسـون ميلا تقع على البحر .
(الحسيرى : المصدر السابق : ص ٤٢) .

وهكذا اتفق الحكم المستنصر مع مبعوث حاكم برشلونة الذي كان
 يصحبه مجموعة من الفرسان ، كما كان يصحبته رسول غيتار Guitardo
 وغيتار هذا بيدوانه حاكم مدينة برشلونة ، أما بوريل فكان حاكما لا مارة
 تعتبر برشلونة عاصمة لها . وقد احضر هؤلاء معهم الهدايا الكثيرة
 لأمير المؤمنين لأن هداهم كان هو عقد معاهدة سلام وصداقة بين إمارة
 برشلونة وقرطبة ، فاستجاب أمير المؤمنين لطلبهم واستقبلهم أحسن استقبال ،
 وانزلهم في منية نصر (١) ، وودعهم بأحسن ما استقبلوا به (٢) . ولقد أبدع
 الشعراء في وصف ذلك الاستقبال البهيج من تزلّف وتقرب رسل النصارى
 إلى الخليفة الحكم المستنصر لنيل رضاه ، فقال أحمد بن إبراهيم الخازن
 بالزهراء في شعر طويل :

لهبتك أن لم يبق في الأرض ناكثٌ
 ولا مشركٌ إلا أتاك بلا عهدٍ
 فهذا ابن شيخ وهو طاغية لهم
 رأى الرشيد في التحكيم والأمن في القصد
 وألقت يدا أفرنجة وعيد هـ
 ولولا يدُ اللقاء جاعك في قـ
 وهذا لمن في الشرق والغرب مؤذن
 كما أنّ خطف البرق يؤذن بالرعـد (٣)

(١) مكان يقع خارج قرطبة على نهر الوادي الكبير، بناها الأمير عبد الله بن محمد
 في موضع جميل .

(الحميري : الروض المعطار . ص ١٨٧) .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٠ - ٢٢ -

Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 81-81 -

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

وفى السادس من ذى الحجة من عام ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م وفدت الراهبة
البيرة عمة ملك ليون ردمير الثالث والوصية عليه والتي يسميها العرب
(حلويره) ، بنت الملك ردمير وحاضنة الملك الجديد ردمير بن شانجسة
صاحب جليقية ، فاستقبلها الحكم المستنصر أعظم استقبال ، واحتفـلـل
بقدمها فى الزهراء احتفالا جليلاً ، وأمر بأن تحمل على بغلة فارهسة
بسرج ولجام مثقلين بالذهب وطحفه بديهاج (١) .

وهكذا بالغ الخليفة الحكم المستنصر فى اكرام هذه الوفادات والحفاوة
بها رغم ان جميع تلك الوفادات كان أصحابها أعداء قدما للخلافة
الاسلامية منذ عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، وكان بإمكانه ان يناصبهم
العداوة ويرفض سفاراتهم ، الا انه لم يتصرف معهم الا بالتصرف اللائق
بمن كان فى خلقه وورعه وتقواه .

واستمرت الوفادات تفد عليه ، فوصل اسنة بن غرسية بن شانجسة
الذى كان رهينة عند اخيه شانجسة بن غرسية صاحب بملونه Pamplona
ثم وصل خميس بن ابوسليط صاحب قشتالة ، كما وصل ديدقة بن شبريط .
وصحب هؤلاء النصارى بعض من القضاء والاساقفة الذين قاموا بالترجمة
بينهم وبين الخليفة ، وقد استقبلهم جميعا بالاكرام ، وقيل وفادتهم
ورد هم الى بلادهم مكرمين (٢) . ولم تقتصر تلك الوفادات على الممالك

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٦١ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

الاسبانية النصرانية بل هناك وفادات أخرى جاءت اليه تجديدا للعهد واكتسابا للمودة والصداقة . ومن أهم هذه الوفادات تلك التي وصلتته من قسطنطين السابع امبراطور الروم ، ومن اوتو الثاني امبراطور المانيا الذي كان قد خلف ابيه اوتو الأول بجدد علاقة المودة والصداقة التي بدأت بينهما وبين أبيه عبد الرحمن الناصر . فتلقي الحكم المستنصر رسول كل منهما كمعادته بالحفاوة والترحيب (١) .

وهذه السفارات انما تدل على ما وصلت اليه الخلافة الاسلامية في الاندلس في عهد الحكم المستنصر من قوة وعظمة وذى يوقع في الصيت ، ان استطاعت الاندلس في عهد ان تبسط سيادتها على معظم انحاء اسبانيا ، كما ضمنت وكفلت الاستقرار والسكينة لها ولتلك الاسسارات الاسبانية النصرانية الفادرة .

ولم تكن عهد السلام التي عقدتها الحكم المستنصر مع ملوك وامراء الاسبان النصراني تجعله يأمنهم ، لأن نقضهم للعهد اذا ما اتسبوا في أنفسهم القوة امر تعود عليه امراء وخلفاء الاندلس ، ولأنه وهو بما جبل عليه من تمسك بالدين ومعرفة بطوائف هؤلاء الامراء لم يكسب ليا من الامن تبع ملته ودينه . فلم يعقد الحكم المستنصر تلك المعاهدات ويستقبل أولئك الرسل الا حقنا لدماء المسلمين وتنفيذا للشرعة الاسلامية التي تنص على الجئوح للمسلم ان جنح العدو له ، كما قال تعالى :

(١) محمد عبدالله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

وَأَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ مَا جُنِحَ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ — (١)

ولكن الخليفة المسلم الحكم المستنصر استطاع بواسطة العبيد
والجواسيس الذين بثهم لمراقبة هؤلاء النصارى ان يتتبع حركاتهم
وان يتصرف في الوقت المناسب على استعدادتهم لشن حرب جديدة
عليه وهزمهم على ان ينقضوا ما أبرموه معه من عهود وعقود ، فيبادر بشن
الحرب عليهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ج - نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى عهد السلام
وعودتهم الى شن الغارات على الأراضي الإسلامية :-

بعد رحيل تلك الوفود التي قدمت على الخليفة المستنصر ، وحينما
كان الخليفة يعد للأمر بدته للحرب مع الفاطميين في بلاد المغرب ،
استغل النصارى ذلك الوقت وتلك الفرصة للخروج والتمرد عليه . ولكن
الحكم المستنصر استطاع برغم انشغاله ان يعد للأمر بدته لقتالهم
وتأديبهم . فلهؤلاء النصارى وان اختلفت أوطانهم أمة واحدة ، نشأت
على الفدر ، ونبتت على نقض العهود والخنوع والخضوع للقوى ، حتى
اذا ما حانت أي بادرة ضعف أو انشغال استغلوها من فورهم لصالحهم
وأغراضهم .

وفي عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٤ م قام غرسيه بن فرنان جونثالث صاحب

(١) سورة الانفال : آية ٦١ .

قشتالة بالاغارة على أراضي المسلمين ، واقتحم بجيشه ديارهم ، ودخل
 حصن دسة الواقع شمال شرق مدينة سالم ، وقام باحراق المزروعات
 والاستيلاء على المواشي ، ولكن المسلمين القريبين من تلك المناطق
 ردوهم ، واستردوا بعض ما استولوا عليه ، وكان هذا الاحتداد الأثيم
 قد تم والوفود النصرانية لم تنزل في طريق عودتها الى ديارهم ،
 حينذاك أدرك المستنصر خطة النصارى ومكرهم في كسب الوقت والخروج
 والتأمر عليه ، فأمر بالقضاء القبض على الرسل والنزج بهم في السجون
 معاقبة لهم على عدوان ملوكهم وأمرائهم . وهذا ما أحسن المستنصر
 بتأهب الاسبان النصارى واستعدادهم للعدوان بحيث في طلب أكابر
 رجال دولته لحشهم على الاستعداد والتعبئة لعلان الجهاد ضد
 المعتدين الغادرين ، فقدم اليه يحيى بن عبد الله بن يحيى فبعث به
 الى كسور الجوف ، ثم وفد اليه امير البهر عبد الرحمن بن رماح فبعث
 به الى كور الشرق ، وبعث باحمد بن محمد بن سعد الجعفرى الى كور
 الغرب ، بعد ان أوصاهم ، وأغدق عليهم المنح ، وأكرمهم وبالغ في
 الحفاوة بهم ، لما كان من عظيم شأنهم في رد العدوان والذود عن
 الأوطان (١) .

وفي النصف من رجب من سنة ٣٦٤ هـ يقول ابن حبان : [توالست
 الأخبار باحتلال جيش العدو من الشركين أهلهم الله في جمع كثير
 من الجلائقة والبشكن من أهل قشتالة ونبيلونة - دمرها الله - بخصم

(١) ابن حبان : المقتبس ، ص ٢١٨ .

غرماج من شطوط مدينة سالم واحاطتهم غادرهم بذمتهم ناقضين لعهدهم^(١)

وبعد ذلك احاط المسلمون بهم ، واستطاعوا ان يستولوا على مافى
أيديهم . وكان من نتيجة ذلك ان نشبت بين حاميه المسلمين والنصارى
حرب عنيفة ، وكان للامدادات السريعة التى وافى المسلمين أثرها ففسى
شد أزهم وتقوية عزيمتهم ، فلم يلبث الحكم المستنصر ان ارسل احمالا
من المال بعثها مع الوزير القائد الأتقى غالب بن عبد الرحمن وأمسده
بالعده والعتاد ، وارسله الى اعداء الله ، واستمر حصار النصارى
للحصن حتى شهر شوال . كما أمد النصارى بعضهم بعضا بالامدادات ،
فوصل المدد من ملكة ليون ، ارسلته الراهبة البيرة . وهاجم النصارى
المسلمين دفعة واحدة ، وكانوا حوالى ستين ألفا ، ونشبت بين الطرفين
معركة حامية انتهت والله الحمد بهزيمة النصارى وفقدانهم لمعظم
ما يملكون ، فقد انتصر المسلمون انتصارا باهرا وقضوا فيه الغنائم العظيمة
وامتلكوا أراضى النصارى (١) .

وهكذا اذن الله لجنوده بالنصر ان هم اطاعوه ونصروه ، فكان نصرا
مبيننا لم يرجع النصارى بعده الى النكث ففى عهد الحكم المستنصر .
ولقد تنبه المسلمون بعد تلك المعارك والهجمات المفاجئة من جانب
الاسبان النصارى الى ضرورة الاستعداد الدائم وتحصين الثغور والحصون
بكل ما تحتاجه من عدة وحاد .

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

وهكذا انتهت الحرب بنصر المسلمين واکرام القواد الذين استسلموا
 فی الذود عن أراضی المسلمين ومن أرواحهم . وصدق الله العظيم
 الذى قال : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آخِزُوا وَمَا بَرُوا وَارِبَطُوا**
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١)

(١) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .

(٣) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان

أ - النورمان وغاراتهم على الاندلس قبل عهد الحكم المستنصر :

ان الباحث في موضوع غارات النورمان على الاندلس يجد ان هؤلاء الاقوام قد ذكروا بعدة اسما منها : النورمان ، الأرمانيون ، الفيكيج ، المجوس . فلفظ النورمان من المرجح ان يكون مخرفا من لفظ Northmen أى سكان الشمال ، وكذلك لفظ الأرمانيين بمعنى الشماليين ، فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni وهذا اللفظ محرف من لفظ النورمانيين وفقا لعادة الاندلسيين في قلب النون الى همزة ، مثل أريونة ونربونة (١) .

ومن الجدير بالذكر ان العرب قد عرفوهم بهذا الاسم ، وخبر شاهد على ذلك ما جاء في اشعارهم عندما أغار هؤلاء الاقوام على الاندلس ، فنجد الشاعر الاندلسي عثمان بن الشنقى يقول :-

يقولون ان الأرمانيين اقبلوا فقلت اذا جاؤا بعثا لهم نصرا (٢)

وقد اطلق عليهم اسم الفيكيج (Vikings) بمعنى سكان الخلجان التى تتأزبها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوروبا (٣) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي غنيم ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

أما عن سبب تسمية العرب لهم مجوساً أى عبدة النار فلأنهم كانوا يشعلون النار فى الأماكن التى ينزلون بها ، فظن العرب أنهم من عبدة النار (١) ، ومن المرجح ان هؤلاء الأقوام كانوا يعبدون النار قبل اعتناقهم النصرانية والدخول فيها (٢) .

وينقسم النورمان من الناحية الجنسية الى الجنس الآرى ، وينقسمون الى ثلاث مجموعات : السويدون ، النرويجيون ، والدانمركيون . وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكدنياوة وشبه جزيرة جوتلند وما يجاورها من الجزر (٣) ، وهناك من يقول انهم من شواطئ ألمانيا الشمالية (٤) .

وبالنسبة لمعتقدهم الدينى فقد كانوا قبل اعتناقهم النصرانية وثنيين ، ومن آلهتهم (ادون) رمز الحرب والملاحم ، وكانوا مولعين بالحروب والخور والنساء والنهب والسلب والقتل (٥) . وقد استمر هؤلاء المجوس طوي وثنتهم حتى استطاع لويس التاسع ملك النورمان باعتراف النصرانية سنة ٨٢٦ م (٦) .

وكان النورمان محاربين من الطراز الأول ، وكانت عدة المحارب منهم

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٥٢ .

(٢) محمد عبدالله عان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٢٦٢ .

(٣) سعيد عبدالفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٤) محمد عبدالله عان : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٥) هـ . أ . ل . فشر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العربى ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ص ١١٥ .

(٦) سعيد عبدالفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

تتكون من فئس وحرمة طويلة ودع من حديد (١) . وكانوا يخرجون فئس مجموعات من المراكب لا تقل عن أربعين مركبا ، وكانت مراكبهم تتصف بطولها وقلة عرضها وسرعة تحركها وخوضها البحار (٢) .

وقد بدأت غارات النورمان منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى على شواطئ فرنسا وسبب نهر اللوار والجارون حتى استطاعوا انشاء عدد من القواعد والمراكز لهم فى تلك المناطق .

اما خروجهم وغاراتهم على شواطئ أوروبا الغربية فترجع الى عدة عوامل منها : ان بلادهم لكثرة الجبال والمستنقعات لا توجد بهما الا سهول ضيقة لا يمكن استغلالها والاستفادة منها فاتجهوا لذلك الى البحر .

ولعل استبداد بعض زعمائهم وظلمهم لهم دفع بهم الى الهجرة الى بلاد أخرى ، كما ان تزايد عدد السكان أيضا اضطرهم الى الخروج من بلادهم ، والافارة على شواطئ غرب أوروبا ، ويمكن ان يضاف الى هذه العوامل عامل آخر هو حب المال والغنيمة ضد الشعوب الهذائية ، والكوارث الطبيعية التى كانت كثيرا ما تقضى على المحصولات الزراعية ، وتجبرهم على الخروج والافارة على الثغور المجاورة .

هذا ومن الناحية الاجتماعية والنفسية كان عامل الحسد

(١) سعيد عبد الفتاح طشور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .
 (٢) عبد الحميد الشرقاوى : الملاحة البحرية الاندلسية فى القرنين الثالث والرابع الهجرى ، القاهرة ، ١٩٣٥ م ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٥ - ٣٦ .

الشعوب المتأخرة البدائية يدفعها إلى الاغارة على هذا النحو المنسرب
والمد سر للشعوب الأكثر منها تحضرا ورقيا (١) .

وفى أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وصلت حملات
المجوس إلى شواطئ بلاد الفرنج (فرنسا) ثم تسربت مجموعة أخرى
من هؤلاء إلى غرب فرنسا ، فغزوا مصب نهر اللوار والجارون وأقاموا
لهم هناك عدة مراكز ، ثم أخذوا يتطلعون إلى اسبانيا أو إلى الاندلس
بنوع خاص وذلك لما اشتهرت به هذه البلاد من الخيرات والغرائب
والفنى والثراء ما اثار اطماع هؤلاء الغزاة المغامرين ، فهبوا اليها
سراعا (٢) ، وبدأت غاراتهم على شواطئ بلاد الاندلس على سواحل
الشترش الشمالية فغزلوا بالساحل عدة بلدة جيحون ، ونهبوا اقليمها ،
فتصدى لهم ملك اشترش (رن سور) وأجبرهم على الرجوع ، فلجأوا
مضطرين إلى ما تبقى لديهم من مراكب ، وساروا باتجاه الساحل الغربى
والجنوبى للاندلس ، وظهروا امام اشبونة (٣) مرة أخرى ، وفى أول ذى الحجة

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - فشر :
المرجع السابق ، ص ١١٨ - عبد الحميد الشرقاوى : المرجع السابق ،
ص ٣٥ .

(٢) محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
(٣) من كور باجه المختلطة بها ، وهي مدينة قديمة تقع على سفى البحر وسورها
راشع البنيان وبابها الغربى من أكبر أبوابها وبابها القبلى يسمى بباب
البحر والشرقى بباب الحمد . والمدينة ممتدة مع النهر وبها قصبة
منجمة وهي مدينة لشبونة الحالية عاصمة البرتغال والعرب حرقوا اسمها
إلى اشبونة .

(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦) .

عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م . ولم تكند طلائع النورمان تظهر مرة أخرى أمام أشبونة حتى وصل كتاب وهب الله بن حزم عامل الامير عبد الرحمن الأوسط على أشبونة يذكر فيه : انه حل بالساحل أربعة وخمسون مركبا من مراكيب النورمان ومعها خمسون قاربا . فأمر الامير عبد الرحمن عماله على السواحل بالتحفظ والاحتياط ، وليث النورمانيون في مياه اشبونة ثلاثة عشر يوما ، اشتبكوا فيها مع المسلمين في عدة وقائع ، ثم اتجهوا بأسطولهم جنوبا الى مدينة قادس . ثم الى مدينة شدونة . ثم الوادي الكبير ثم مدينة اشبيلية . وكانت اشبيلية في ذلك الوقت دون أسوار تحيط بها وتحميها من الاعتداءات ، فكانت مفاجأة مروعة ومذهلة لسكانها ، ثم اتجه النورمان بعد ذلك الى طلياطة (١) ، حيث وقعت بينهم وبين الاندلسيين بضعة معارك محلية تفوق فيها الغزاة وانتصروا (٢) .

وفي الخامس والعشرين من صفر سنة ٤٣٠ هـ نشبت بين الفريقين معركة كبيرة فاصله ارتد فيها النورمانيون ، وتحصنوا بسفنهم ، ثم هاجموا مدينة لبلة (٣) حتى وصلوا الى ثغر اشبونة ، ثم غادروا مياه الاندلس مع سفنهم المتبقية . ورأى المسلمون في هذه المعارك البحرية والبرية شذائد عظيمة يصفها لنا ابن عذاري في البيان المغرب وصفنا

(١) مدينة بالاندلس بينها وبين اشبيلية عشرون ميلا .

(الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢٨) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٣) مدينة قديمة في غرب الاندلس تبعد عن طلياطة عشرين ميلا ، وهي مشهورة بكثرة ثمارها وحسنها .

(الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٩) .

دقيقا ، فيقول : [فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبا كأنما ملأت البحر طيرا جونا (١) . كما ملأت القلوب شجوا وشجونا ، فحلوا بأشبونة ، ثم أقبلوا إلى قادم ثم إلى شذونه ثم قدموا على أشبيلية فاحتلوا بها احتلالا ، ونازلوها نزالا إلى أن دخلوها قسرا واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا ...] (٢) .

ولم يستمر وجود النورمان في أشبيلية إلا اثنين وأربعين يوما ، أما مدة إقامتهم في الأندلس منذ ظهورهم أمام أشبونة في ذي الحجة سنة ٢٢٩ هـ حتى خروجهم منها فيبلغ نحو مئة يوم . وبعد خروجهم أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط الرسل يحيطون الرسائل إلى مدينتي طنجة ، يشر فيها رجال قبيلة منهاجه اتباعه بما كان من عون الله لهم في المجوس وما أنزل الله فيهم من النعمة والهلكة . كما بعث إليهم برأس أمير المجوس وماشيتي رأس من أعوانه (٣) .

أ - الاهتمام بالأساطيل البحرية :

لم يكن المسلمون ضد افتتاح الأندلس يتكئون أسطولا بحريا ، بل لم يفكروا في انشاؤه وقتذاك بسبب انشغالهم بالشورات الداخلية وبالحرروب مع الممالك الأسبانية النصرانية . ويعتبر الأمير عبد الرحمن الأوسط أول أمراء بني أمية في الأندلس الذي فكر في حاجة المسلمين

(١) يقصد الإشارة إلى أشربة مراكب المجوس وكانت سودا .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٣) عن تفاصيل هذه الفارة انظر ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٨٧ - ٨٨ -

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ .

الى اسطول بحرى منظم يساعد هم على صد الهجمات خصوصا بعد غزو النورمان لبلاد سنة ٢٢٩ هـ - ٢٣٠ هـ ، ان أدرك مدى حاجة بلادهم للأسطول (١) . كما أمر بإنشاء مراقب ومخارج على طول الساحل المطل على المحيط ، وشحنها بالمرايطيين الذين كانوا على أتم استعداد لمراقبة سواحلهم مراقبة جيدة ومعرفة الاخبار والتخطيط لأي هجوم .

كذلك دعت هذه الغارة النورمانية حكومة الاندلس الى الاهتمام بالبحرية ، وذلك بإنشاء دور لصناعة السفن ، لتزويد البلاد بأعداد كبيرة من السفن لمواجهة أى غارة بحرية ، فأمر الأمير عبد الرحمن بأقامة دار صناعة بأشبيلية لإنشاء المراكب ، واستعد برجال النفط . ولمعنى هذا ان الاهتمام بالبحرية اقتصر على تلك الفترة فقط بل كان موجودا منذ أيام الأمير الحكم الرشيد ، ولكن عهد الأمير عبد الرحمن الاوسط شهد الاهتمام ببناء البحرية الاسلامية في الاندلس وتنظيمها لخدمة الأغراض الحربية البحرية دائما (٢) .

ولم يكف يحمي على غزوة النورمان الأولى في عهد عبد الرحمن الاوسط خمس عشرة سنة حتى تعرضت الاندلس لغزوة نورمانية جديدة في عهد ابنه الأمير محمد ، الذي كان يتوقع غزوهم لبلاد مرة أخرى بعد وفاة أبيه عبد الرحمن سنة ٢٣٨ هـ ، فأعد للأسرعدته . واستعد لمداهم

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرسية ، ص ٣٣ .
 (٢) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٦٠ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٢٣٧ .

والوقوف في وجههم ، فأقام سياجا ضخما من الوحدات المقاتلة التي تتحرك باستمرار ولا تقف عن التجوال في سواحل افرنجة المطلة على المحيط الى سواحل جليقية بقصد ترقبهم أو وصول سفنهم اليها .

ويجمع المؤرخون على ظهور النورمان امام شواطئ الاندلس عام ٢٤٥ هـ (١) . ولكن ابن عذارى يرى ان خروجهم كان في عام ٢٤٠ هـ ، فيقول في هذا الصدد : [خرج المجوس أيضا الى ساحل البحر بالغرب في اثنين وستين مركبا ، فوجدوا البحر محروبا ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الغرب الأقصى ، فتقدم مركبان من مراكب المجوس فتلاقى بهم المراكب المعدة ، فوافسوا هذين المركبين في بعض كور باجة ، فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة ، وصرت سائر مراكب المجوس في الريف حيتى انتهت الى مصب نهر اشبيلية في البحر] (٢) .

والتأمل لرواية ابن عذارى يلاحظ ان أهل الاندلس في هذه المرة كانوا على أتم استعداد وأهبطه لمقابلة العدو ، وانهم كانوا يراقبون السواحل مراقبة دقيقة ، بل انطلقت سفنهم الى اشترين لتراقب النورمان عند خروجهم من شواطئ فرنسا لتتصدى لهم قبل توغلهم الى الجنوب . وهذا نستطيع أن نقول بأن الغزوة النورمانية الاولى لم تذهب سدى ، بل أدت الى دراسة متأنية ودقيقة ، استطاع بها الاندلسيون ان يحددوا

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٦٢ -

١٦٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

المناطق التي يأتى منها النورمان ، فيحكموا مراقبتها بوضع العيون
الساخرة فيها .

ويواصل ابن عذارى وصفه لهذه الفارة بقوله : [وتقدمت المراكب
من مصب نهر اشبيلية حتى حلت بالجزيرة الخضراء (١) ، فتغلبوا عليها
وأحرقوا المسجد الجامع بها ثم جازوا الى العدو (٢) ، فاستباحوا
أريافها ، ثم عادوا الى ريف الاندلس ، وتوافوا بساحل تدسير (٣) ، ثم
انتبهوا الى حصن اوريوله (٤) ، ثم تقدموا الى افرنجة فشتوا بها ، وأصابوا
بها الذرارى والأموال وتغلبوا بها على مدينة سكوها ، فهي منسوبة
اليهم الى اليوم حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس ، وقد ذهب
من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا ، ولقيهم مراكب الاسير محمد ، فأصابوا
منها مركبين بريف شذونة ، فيها الأموال العظيمة وضت بقية مراكب
المجوس] (٥) . وينقل لنا عبدالرحمن الحجى عن ابن حيان خبر هجوم
ثالث للنورمان على الاندلس فى عام ٢٤٧ هـ . فيذكر لنا انه خرج فسى
هذه السنة ستون مركبا للنورمان فوجدوا البحر محروسا ، فتابعوا سيرهم
حتى انتهى بهم الابحار الى مصب نهر اشبيلية ، هدها قام الأسير

(١) الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة ام حكيم وهى جارية طارق بن زياد موسى
موسى بن نصير ، وهى على ريو مشرفه على البحر سورها متصل به وشرقها
خندق وغربها اشجار وانهار ، وسورها من الحجارة وفيها جامع فى وسط
المدينة .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) وهى العدو المغربية .

(٤) من كور الاندلس سميت باسم ملكها تدسير .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) حصن بالاندلس وهو من كور تدسير ، وهى مدينة قديمة كانت قاعدة العجم .

(٧) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

محمد بتجريد الجيوش واخراج القواد لطردهم عن الاندلس . وبعد هذا الهجوم الذى كان عام ٢٤٧ هـ توقف النورمان عن أية غارة على الاندلس مدة تزيد على قرن أى حتى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، حيث عادوا بعدها للهجوم ثانية على الاندلس فى السنوات الآتية : ٣٥٥ هـ ، ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ ، وهذا ما سنفصل الحديث عنه فى الصفحات التالية (١) .

كان لغارات النورمان على الاندلس آثار هامة جدا ، فقد نهبت المسلمين لاتخاذ استعدادات هامة لمجابهة الغزوات البحرية أو البرية منها :-

١ - تحصين السواحل التى يمكن ان يطرقتها الغزاة الشطاليون من الغرب أو الجنوب الغربى ، واعدادها بوسائل الدفاع ، واصلاح ما خربه النورمان فى غزواتهم الأولى . كما قاموا بتجهيز مدينة اشبيلية بالجند والعتاد للمحافظة عليها ، وذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط .

٢ - بناء سور من الحجارة حول مدينة اشبيلية ، واعادة بناء جامعها بشكل بديع وله مئذنة جميلة شامخة .

(١) عبد الرحمن الحجى ؛ تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة ، ما عدا جامعة بغداد على نشره ، دمشق ، دار العلم - الكويت ، دار القلم ، الرياض ، دار القلم ، ص ٢٣٩ - (نقل عن ابن حيان : المختصر ، ص ٢٣ - ٢٤) .

٣ - نمو البحرية الاندلسية نموا سريعا وقويا ، فعجز عن الوقوف أمامها
النورمان في هجومهم الثاني ، ونوا بخسائر فادحة ، وأصبح
الاسطول الاندلسي بعد زيادة قطعه على أهله تامة لرد أى هجوم
بحرى .

٤ - وللمحافظة على الاسطول الاندلسي واستمرار حفظ قوته انشئت
دور للصناعة ، أشهرها دار الصناعة باشبيلية لهنداء المراكب والسفن
الحربية الكبيرة وأصبحت اشبيلية منذ ذلك الحين الميناء الأول فى
الاندلس ، ثم انشئت دار أخرى لصناعة المراكب فى قرمونة (١) .

٥ - قيام الأمير عبد الرحمن الأوسط بتزويد الاسطول الاندلسي بالرجال
المدرسين وتشجيعهم على العمل فى المراكب باجزال العطاء لهم
وتزويدهم بالآلات الحربية اللازمة والأسلحة النفطيه .

٦ - إقامة المعاقل على امتداد الشواطىء على مسافات متقاربة للاستعداد
فى حالة هجوم مفاجىء ، وخصص الأمير عبد الرحمن الأوسط للمعاقل
المتعد على السواحل قوادى مهرة لمساعدة القوات البحرية فى
مناطقهم ، وأمرهم بالتعاون ضد أى هجوم .

وقد أشارت هذه الاحتياطات والاستعدادات فى نفوس المجوس وعبدا
وخوفا دفعهم الى الابتعاد عن غزو شواطىء الاندلس وعدم الاقتراب

(١) مدينة بالاندلس فى الشرق من مدينة اشبيلية وهى مدينة كبيرة وقد يسمي .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٥٨) .

منها لمدة طويلة جدا (١) .

وواصل أمراء الاندلس بعد الأمير محمد بن عبد الرحمن غايتهم بالبحرية ، كما اهتموا بها وانشاء اسطول قوى فى الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط لدفع الاخطار الخارجية التى يمكن ان تتعرض لها الاندلس سواء أكانت من النورسان أو من الفاطميين بلاد المغرب . ويذكر ابن خلدون ان اسطول الاندلس انتهى فى أيام الناصر الى ماثنى مركب أو نحوها ، وكذلك اسطول المغرب (٢) . ويعتبر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عهد نشاط حركة انشاء السفن وصناعتها . فلقد نشطت نشاطا ملموسا واسعا ان انشأ عددا كبيرا من دور الصناعة فى المريه والجزيرة ، واستخدم أجود أنواع الخشب لاعداد اسطول ضخم قوى يستطيع ان يدفع به الاخطار الخارجية المحيطة بالاندلس ، فأصبح الاسطول فى عهده من أقوى وأضخم الأساطيل ، يسيطر على مياه الاندلس الجنوبية والشرقية ، كما يهدد سيادة الفاطميين فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط . واحترق ميناء المريه من أحم موانئ الاندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لاتسع اعاليقه الذى كان يضم معظم وحدات الاسطول ، ومنه تبحر المراكب واليه تعود . وتقوم دار صناعتها بعمل جميع الأجهزة والالات اللازمة لقطع الاسطول (٣) .

-
- (١) محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٣٧ - عبد الحميد الشرقاوى : الملاحة البحرية فى الاندلس ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .
 (٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٤ (نقلا عن ابن خلدون : المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٢٩) .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٣٦ .

ب- غارات النورمان على الاندلس
في عهد الخليفة الحكم المستنصر :-

زادت قطع الاسطول الاندلسي كما ذكرنا في عهد الخليفة
 عبدالرحمن الناصر الى مائتي سفينة ثم الى ثلثائة ثم تضاعف عدد هـ
 في بداية عهد الخليفة الحكم الى ستمائة جفن (١) بين غزوى وغيره .
 وكانت معظم وحدات الاسطول الاندلسي مستقرة في ميناء المرية
 لمواجهة أى خطر يقيق بالاندلس .

لقد عمل الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم القواعد
 البحرية ، لتكون على أتم استعداد واهبة لرد أى هجوم أو اعتداء على
 الاندلس وسواحلها . ويرى ان ريكاردو الاول زعيم النورمان قد أمر
 اسطوله بالتوجه نحو اسبانيا ، فخرجت المراكب على شكل مجموعات
 واتجهت الى السواحل الغربية لاسبانيا ، ولكن الاندلسيين كانوا لهم
 بالمرصاد لوجود الحراس والمراقبين الذين يرقبون ويرصدون أحوالهم
 ويرسلون بها الى الخليفة . كما ان الحكم المستنصر تحالف مع بعض
 حكام الاسبان في غرب جليقية ليكونوا له عينا على المجوس وروند
 تحركاتهم (٢) .

- (١) وجميعها اجفان وهى سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها .
 (سعاد ماهر : البحرية الاسلامية واثارها الباقية ، جده ، ١٣٩٩ هـ /
 ١٩٧٩ م ، دار المجمع العلمي بجد ، ط ٢ ، ص ٣٣٦) .
 (٢) احمد مختار العبادى : في التاريخ العباسي والاندلس ، بيروت ،
 ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٤٢٩ .

ويسرى لشا ابن عذارى ان الخليفة الحكم المستنصر أمر [باقامة
الاسطول بنهر قرطبة ، واتخاذ المراكب على هيئة مراكب المجوس (اهلكهم
الله) تأميلا لركوبهم اليها . (١) . والحقيقة ان كل شيء كان معدا
لدرء أى هجوم ، واحباط أى خطر يخطط له المجوس . وفى سنة ٣٥٥ هـ
قدمت سفن المجوس الى مياه غرب الاندلس ، وفى هذا الصدد يقول ابن
عذارى : [وفى أول رجب منها ورد من قصر ابى دانس (٢) على المستنصر
بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان ،
واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك ، لتقدم عادتهم بطروق الاندلس
من قتله فيما سلف ، وكانوا فى ثمانية وعشرين مركبا ، ثم ترادفت الكسب
من تلك السواحل بأخبارهم ، وأنهم قد أضروا بها ، ووصلوا الى بسط
اشبونه فخرج اليهم المسلمون ، ودارت بينهم حرب ، استشهد فيها من
المسلمين وقتل فيها من الكافرين . وخربت اسطول اشبيلية ، فاقتحموا
عليهم يوادى شلب وحطموا عددا من مراكبهم . واستنقذوا من كان فيها
من المسلمين ، وقتلوا جملة من المشركين ، وانهزموا اثر ذلك خاسرين ،
ولم تنزل اخبار المجوس تصل الى قرطبة فى كل وقت من ساحل الغرب
الى أن صرفهم الله تعالى] (٣) .

وبعد هذا الانتصار الذى حققه المسلمون على المجوس أمر الحكم

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٢) ثغر يقع بخرى بلاد الاندلس .

(الحسمى : المصدر السابق ، ص ١٦١) .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

المستنصر قواد ، بالاستعداد ، والأهبة خوفا من هجوم آخر مباغت ، وقد كانت مخاوفه في محلها فلم تضر خمس سنوات على ذلك الهجوم الأول حتى كان هجوم آخر لهم في سنة ٣٦٠ هـ ، إذ ورد كتاب إلى الخليفة يحمله رسول من القوم عند شلب يخبره فيه بنزول النورمان بجليقية وانصرافهم مهزومين (١) . ضد ذلك أعد المستنصر عدته ، فانفذ مبارك ومبشرا وهما من رجاله إلى كوره ربه وشذونه لشحن الابطحة منها وارسالها إلى الاسطول في اشبيلية (٢) . وفي أواخر شهر رمضان سار القائد عبد الرحمن بن رماح قائد اساطيل الاندلس من المربة ليتوجه إلى البحر الشمالي الذي ظهر فيه النورمان . . وما ان وصل ابن رماح باسطول المربة إلى اشبيلية حتى بدأ استعداد ، التام لملاقاة النورمان وحربهم ، ولكن الاخبار كانت قد وردت بعودة سفن النورمان بعد أن تأكد لديهم قيام المسلمين لحربهم ، وخروجهم لهم بالقوة والعدة ، فرجع ابن رماح مرة أخرى (٣) . وفي ذلك يقول ابن حيان : [وفي يوم الاثنين لا ريب بقيت من ذى القعدة منها وفي الخبر باقتلاع صاحب الشرطة عليها قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماح من مدينة اشبيلية بالاسطول منصرفا إلى المربة ، عافا عن اجرائه إلى جهة المجوس والناهريين فسي البحر الشمالي ، إذ وردت الانباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم وتلجيجهم في البحر الشمالي ليلسبون على شىء بحسن دفاع اللسنة

(١) ابن حيان : المقبس ، ص ٢٧ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

عن المسلمين ، اذ اتصل بهم وصح لديهم ضد الخليفة المستنصر
لحربهم ، ونصبه التدبير عليهم ، وتجريد القائد الوزير غالب بن عبد الرحمن
مدبر حربه نحوهم ، وقصد هم في البر ، ونهوض القواد بالاساطيل التي
ناحيةهم ، وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة ، والاساطيل الثقيلة التي
لم يجد أعداء الله عند سماعهم بها من نفوسهم معينة على التعرض
لملاقاتها ، والانسياط في السواحل التي احسوا بهم فيها ، فولسوا
على أعقابهم ناكسين ، وما رجوء من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين ،
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا هـ [(١)] .

هكذا أوجس النورمان خيفة بعد طمطم بمدى استعداد الخلافة
الاندلسية لهم ، وتم بفضل الله صرفهم بعد ان ألقى الرعب في قلوبهم ،
وعاد رجال المستنصر الى قرطبة لمقابلته وتبشيره بما فتح الله عليهم
وما تم لهم من نصر وظفر على أعدائه ، فأكرمهم ، وخلق عليهم الخلع ،
وانطلقوا الى أماكنهم محمودا وشكورا سعيدهم (٢) .

وفي سنة ٣٦١ هـ استدعى الخليفة الحكم المستنصر الى مجلسه
الخاص كبار رجال دولته وحمايتها ، وأمرهم بالاستعداد والتأهب للخروج
الى الجبوس لما يتوقع منهم من مباغتة وهجوم ، فاستعد الرجال لذلك ،
وانطلقوا مغرورين بالهدايا والخلع ، تحفهم الدعوات والفرادة الى الله
في رجوعهم منتصرين (٣) . ولكن الجيش الهام عادة مرة أخرى من حيث

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٦٦ .

(٣) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٧٨ .

أتى ، لأن النورمان قد نكسوا على أعقابهم عند سماعهم بخروج المسلمين .
 وللمرة الثانية يعود الجيش الاندلسى المسلم دون لقاء مع النورمان
 - اهلكهم الله - بعد ان يقرروا الانسحاب والرجوع خوفا من قوة
 المسلمين . وكان لحسن اعداد الحكم المستنصر فى رسم خططه وفى
 بث العميون والجواسيس لمعرفة اخبارهم كل الخير فى نكوص اعداء الله
 وفى عودة جيش الاسلام منتصرا بعد أن كفى الله المؤمنين القتال ،
 وكان الله رؤوفا رحيماء بعباده الصالحين (١) .

هكذا عشنا مع المجوس فى موطنهم الأول ، وعرفنا أصلهم وسبب
 تسميتهم ، وواكبناهم فى غاراتهم ، ورأينا المواسل التى تضافرت لخروجهم
 من موطنهم الاصلى وتوجههم نحو بلاد الاندلس ، فنزلوا فى مدنها
 واستباحوها فى زمن الأمير عبد الرحمن الاوسط . وحاولوا اعادة الكرة
 فى زمن ابنه الأمير محمد ، ولكنهم لم يحققوا النجاح الذى حققوه
 فى المرة الاولى لأن أهالى الاندلس لم يتركوا الهجمة الاولى دون
 دراسة وتحليل ، فاستلماوا الوصول الى العلاج المناسب ، وهوانشأ
 الاسطول الاندلسى القوى الذى أخذ يلعب دورا هاما فى حراسة
 الشواطىء الاندلسية ، حتى بلغ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر
 زهاء مائتى سفينة . كما تابع الخليفة الحكم المستنصر جهود أبيه
 من حيث الاهتمام بأمر الاسطول والقيام بالحراسة التامة للشواطىء
 الاندلسية عن طريق بث العميون والجواسيس لمعرفة اخبار النورمان

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ .

وتتبع حركاتهم ، حتى استطاع ان ينزل بهم الهزائم ، وان يدب الرعب
 في قلوبهم ، فصاروا يحسبون لدولة الاسلام ألف حساب ، وأصبحوا
 ينكصون عن الخروج عليهم لعلمهم بتفوقهم وقوتهم عليهم . وهكذا
 استطاع الخليفة الحكم المستنصر ان يعد للأمر عدته ، وأن يكبح جماح
 عدوه ، وجعله ستمعيا خروجه وحربه مع دولة الخلافة في الاندلس .
 وهذا بطبيعة الأمر يمثل قمة انتصاره عليهم ، ومكانة وعظمة دولته
 الاسلام في الاندلس ومدى ما وصلت اليه في عهد الحكم المستنصر .

* *

الفصل الثالث

النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والفاطحيين

- ١ - النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى .
- ٢ - النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي .
- ٣ - الحكم المستنصر يقضي على محاولة آخر أمراء الأدارسة الحسن ابن قنون في استعادة نفوذ الأدارسة على المغرب الأقصى .

(١) النزاع بين عبد الرحمن الناصر

وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى

لم يشعر الأمويون في الأندلس بالراحة والاستقرار بعد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب . فقد كانت هذه الدولة تشكل خطرا كبيرا على دولتهم ، فمنذ خلافة عبد الله المهدى أول خلفائهم أخذ الفاطميون يربنون بأبصارهم إلى مصر وإلى الأندلس . وقد أقلق نجاح الفاطميين في إقامة دولتهم في بلاد المغرب وفرض سيادتهم ومذهبهم الشيعي على معظم بلاد المغرب أقلق الدولة الأموية في قرطبة وخصوصا لأن العدو المغربي تعتبر قاعدة الأندلس الأولى وخط دفاعها ومطعمها لجميع التأثيرين عليها والفاطميين فيها سواهم كانوا من داخل الأندلس أو من المغرب . فمن العدو المغربية تطلع الفاطميون إلى نشر التشيع في الأندلس وتوطئة لغزوها ، كما تطلعون في نفس الوقت إلى مصر باب المشرق الإسلامي وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو تحقيق وحدة العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه في ظل خلافتهم التي كانوا يرون أحقيتها في حكم المسلمين دون الخلافتين العباسية في الشرق والأموية في الأندلس . وشعوره بأهداف السياسة الفاطمية في العدو المغربية حرص عبد الرحمن الناصر منذ توليه إمارة الأندلس ثم بعد تلقيه بالخلافة على وجه الخصوص التخصيص على التصدي لأطماع الفاطميين في رأس العدو المغربية ، فقرر منذ توليه إمارة الأندلس الاهتمام بالأسطول وإعداده حتى توفر لديه أسطول بحري قوى وأمر بفرض حراسة شديدة على مضيق جبل طارق

لمنع وصول امدادات الفاطميين الى الطائر عليه ابن حفصون (١) . ولم يكتف
 عبد الرحمن الناصر بذلك بل عمل على تحصين سواحله وشموره ولاسيما
 في المنطقة الجنوبية التي كانت معرضة لهجوم الفاطميين من المغرب .
 ولقد حرص على ان يشرف بنفسه على الاعمال الدفاعية سواء كانت في
 جزيرة طريف (٢) أو الجزيرة الخضراء ، لانهما كانتا مفتاح الاندلس من
 العدو المغربي ، ثم انتقل بعد ذلك للاستيلاء على الثغور المغربية
 المطلة على المضيق فقام في عام ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م بالاستيلاء على مدينة
 طليعة ، وبنى سورها وجعلها معقلا ومقرا لموسى بن أبي العافيه الذي
 دخل في طاعته ، وخلق طاعة الفاطميين . ولم يكتف بذلك بل نجسده
 في عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م يستولي على مدينة سبتة من ولايتها الجبرسر

(١) هو اخطر تاجر عرفته الاندلس منذ الفتح وكانت ثورته تمثل اخطار العناصر
 التي لا تدبر بالولاة لحكومة قرطبة وفي مقدمتها طائفة المولدين التي ينتمي
 اليهم ، وهم من سلالة القوط والنصارى الاسبان الذين اسلموا منذ الفتح ،
 وكانت طائفة المولدين تتعاون مع زملائها الاسبان النصارى . ولقد احتسب
 يوم وفاته فاتحة اقبال وطالع سعد للمسلمين ، وتنفست حكومة قرطبة بعد
 ان شغلها زهاء ثلاثين عاما وكانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م .
 (للمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبدالله عان : المرجع السابق ، ج ٣ ،
 ص ٣٨٢) .

(٢) مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير ، ومن جزيرة طريف الى
 الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا . وهو خليج يتبين للناظر ما خلفه .
 (الحميري : الروض المعطار ، ص ١٢٧) .
 اما المقري فيقول فيها :-

اما جزيرة طريف فليست بجزيرة وانما سميت بذلك للجزيرة التي امامها في
 البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوب اليه من موالى موسى
 ابن نصير يقال ان موسى بعث الى اسبانيا لاستكشاف احوالها قبل قدوم
 طارق بن زياد فنزل هذه الجزيرة .

(المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٢) .

بنى عصام "لقفا" الفاطميين ، ويعمل على تحصينها والاهتمام بها لأنها مفتاح المغرب والاندلس أيضا . ثم انتقل الى مدينة طنجة وكان يسكنها الاشراف الحسينيون (الادارسة) بزعامة أبى العيش احمد بن القاسم بن قنون ، وكان أحمد هذا فقيها ورعا فخلع طاعة الفاطميين وانضم الى الامويين ، فأمره عبد الرحمن الناصر بالتنازل عن طنجة ليعملها الى سبعة فرسفس ، فأرسل له اسطولا ضخما فوافق على ضمها له ، وبقي ابو العيش مسرع اخوته وبنى معه من الادارسة بمدينة البصرة (١) واصيلا (٢) تحت بيعته عبد الرحمن الناصر . وكانت قوات عبد الرحمن الناصر فى ذلك الوقت على حد قول السلاوى] تجيز من الاندلس الى العدو ، يقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم ، والناصر مدد لمن عجز منهم برجاله مقولم ضعف بماله حتى ملك اكثر بلاد المغرب وما يعته قبائله من زناتة والبربر ، وخطب له على منابر من تاهرت الى طنجة [(٣) .

(١) أسست البصرة فى الوقت الذى أسست فيه (اصيلا) وعلى ثمانية اميال منها جبل يقال له صرصر . كان كثير المياه والثمار يسكنه معموده وأول من ملكها ابراهيم بن القاسم بن ادريس نحو أربعين سنة .
(ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣٥) .

(٢) تعتبر من المدن القديمة التى تقع على ساحل بحر العرب ، وهى مدينة ساحلية (كانت مدينة للاوائل) ثم تقلب عليها البحر ثم بنيت بعد ذلك ويقال ان سبب بنائها أن المجوس خرجوا فى مرساها مرتين الاولى زاعمين ان لهم بها أموالا وكنوزا ، والثانية ان الريح قد فتت بها اليهم ، حتى انه بها بابا يعرف ببساب المجوس وأول من ملكها قبائل لواتة .
(ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣) .

(٣) السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، مطبعة دار الكتاب ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

وهكذا استطاع عبد الرحمن الناصر ان يسيطر سيادته على مضيق جبل طارق عن طريق احتلال القواعد الرئيسية الهامة مثل سبتة وطنجة ومليحة لكي يتدخل في سياسة المغرب بإشارة قبائله ضد الدولة الفاطمية (١) ، ونتيجة لاستيلائه على تلك المواقع المهمة قام زعماء الجبهة بالتقرب منحه والدخول في طاعته حتى امتدت دعوته الى قاص . ولم تقتصر دعوتهم على المدن التي استولى عليها بل نجد ان أمير مكناسة موسى بن ابي العافية يطلب الانضمام اليه والانضمام تحت لوائه ، فأجاب عبد الرحمن الناصر الى طلبه (٢) . وكرد فعل لما فعله عبد الرحمن الناصر قسما حميد الله المهدي بتجريد حطة لبلاد المغرب الاقصى للقضاء على دعوة الاويين بها ، وكانت بقيادة طلم على تاهرت حميد بن يصال ، وكانت بينهم حرب سجال ، ولكن هذا الجيش هزم على يد موسى بن ابي العافية سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م . وفي عام ٣٢٣ هـ وبعد وفاة حميد الله المهدي وخلفه ابنه أبو القاسم الذي واصل سيرة ابيه في التصدي لنفوذ الأويين في المغرب الاقصى ، فجرّد أبو القاسم حطة أخرى بقيادة ميسور المقلبي الذي استطاع ان يفرض الحصار على موسى بن ابي العافية ويطارده حتى الصحراء وبعد ذلك استولى الادارة خلفاء الفاطمين على

(١) احمد مختار المبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ،

مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح

العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ، ١٩٨١ م ، دار النهضة العربية

للطباعة والنشر ، ص ٢٨٧ - صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية في

حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني للهجرة حتى نهاية العصر

الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، ص ١١٧ .

دولته . (١)

ولقد حرص كل من الأمويين والفاطميين على محاولة اجتذاب البربر الى جانب كل منهم ، فاستمال عبد الرحمن الناصر قبيلة زناتة بينهم استمال الفاطميون قبيلة منهاجة وكثامة . وقد وضع عبد الرحمن الناصر خطة محكمة للقضاء على الفاطميين ونفوذهم في المغرب ، وهذه الخطة تتلخص فيما يأتي :-

١ - استمالة وجذب كل ثائر وحاقد وخارج على الدولة الفاطمية من البربر ، فاعترف بسيادة محمد بن الخنز زعيم مغراوه ، وموسى بن ابي العافية زعيم مكثاسة ، كما قام بمساعدة ابن كيداد (صاحب الحمار) الذي كان خارجا على الفاطميين وبسر له كل السبل للاستمرار في ثورته عليهم (٢) ، كما نجح في اشارة حميد بن يصال

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث . ظهر بعد موت عبد الله الشيعي في ولاية ابي القاسم فخرج يدعو الناس الى القيام بالسنة والخروج على الشيعة ودخل افريقية وغرب مدنها ودوخها وقتل من أهلها ما لا يحصى وفي عام ٣٣٢ هـ اشتد امره بأفريقية . وكان ابو يزيد يخفي مذهبهم الأباضي ، وكان يركب الحمار في تنقلاته فاطلق عليه صاحب الحمار . وكان يظهر الزهد والتقشف . ولقد مثل ابا يزيد سيرة الفقيه قائد ابي القاسم الشيعي ، وكان بين ابي القاسم وابي يزيد حروب كثيرة - للمزيد من التفاصيل عند ثورته انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٦ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاسلامي ، ص ٦٢٣ - احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٩ - ٣٠ .

عامل تاهرت ويعلى بن محمد الزناتى على سادتهم الفاطميين حتى أصبحت قرطبة مركزا للتآمر والدسائس على الدولة الفاطمية ، وبسبب بذور الفتنة والشقاق بين معظم قبائل البربر فى بلاد المغرب .

٢ - تلقب الأسير عبد الرحمن بن محمد فى ٢٨ ذى القعدة من سنة ٣١٦ هـ بألقاب الخلافة ليدعم مركزه فى الأندلس ، ليصبغه بالصبغة الشرعية ويفرض هيئته على النفوس واصدر مرسوما بذلك .

٣ - استيلاؤه على معاير الأندلس المهمة سبته وطنجه ومليته .

٤ - توطيد علاقته مع أعداء الفاطميين متحالفا مع هيج دى بروفانس ملك ايطاليا Hugues de Province الذى كان حاقدا على الفاطميين بسبب استيلائهم على ميناء جنوة . كما عقد أواصر الصداقة عام ٣٤٤ هـ مع امبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذى كان يأمل فى استرداد صقلية من الفاطميين . وعمل على توطيد علاقته بالخشيديين فى مصر ، فأرسل فقهاء المالكية الى مصر لمحاربة المذهب الشيعى الذى كان يعمل دعاة الفاطميين على نشره فيها .

٦ - الاهتمام بأمر الاسطول حتى استطاع ان يكون له اسطول قوي بما بلغ عدد قطعه مائتين ليصد به أى خطر يتهدد الأندلس ، وهكذا حرص عبد الرحمن الناصر على طرد كل باب يعرقل خمار الفاطميين ويشل تحركهم فادت هذه السياسة الى انصراف الفاطميين عن فتح بلاد الأندلس الى مصر (١) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ - ٦١٥ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، ص ٢١٢ - صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٣ - ١١٤ -

وازاء ذلك قام الفاطميون بمحاربة الأيوبيين بنفس الأسلوب فعمدوا

الى :-

١ - تشجيع وتدعيم الثوار في الاندلس ، فقاموا بمعاونة ابن حفصون الثائر على عبد الرحمن الناصر ، وأسدوه بالأسلحة والذخائر للاستمرار في دعوته .

٢ - لعب الجواسيس والعيون الذين بثهم الفاطميون في الاندلس دورا هاما للدعاية للفاطميين والذهب الشيعي هناك ، وللتجسس من ناحية أخرى لمعرفة أحوال بلاد الاندلس ومواطن القوة والضعف فيها ، واعدادهم بمعلومات عنها من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد دخل هؤلاء الجواسيس والعيون الاندلس امسا عن طريق العلم كابن هارون وأبي اليسر الرضا ، واما بغرض التجارة كابن حوقل (١) .

وأخيرا نقول انه ما لاشك فيه ان قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ونشاط دعاتيها لتفسيذ ههنا في الاندلس أصبح مشارا خطير كبير على الأيوبيين بالاندلس .

(=) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ، القاهرة ،

١٣٩٣ هـ ، ط ٤ ، دار الفكر العربي ، ص ٢٢١ .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ - احمد مختار

المباي : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٩٤ .

وقد شغلت ثورة ابي يزيد بن كيداد (صاحب الحمار) الفاطميين عن بسط نفوذهم الكامل على المغرب الأقصى ، واستغل الامويون تلك الفرصة وأقاموا قواعدهم العسكرية بطليطة وسبتة وطنجة في رأس العسكرة المغربية ، وادكموا سيطرتهم البحرية على مضيق جبل طارق . كما نجح عبد الرحمن الناصر في جذب كبار رؤساء البربر الى صفه (١) .

ولما تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، كان سلطان الفاطميين في بلاد المغرب لا يتعدى مدينة ايفكان في المغرب الاوسط . وقد بادر المعز لدين الله بمجرد توليته الخلافة الى استعادة النفوذ الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى . ففي عامي ٣٤٢ و ٣٤٣ هـ / ٩٥٣ و ٩٥٤ م جرد الحملات لتحقيق هذا الهدف وتمكن من استعادة سلطان الفاطميين على المغربين الأوسط والأقصى ما عدا رأس العسكرة المغربية ومدينة فاس ، فدخل في طاعته بربر جبل أوراس ، ومحمد بن خنزر أمير مغراوة ، ويعلى بن محمد اليفرنسي الذي عينه من قبله على تاهرت ، وزهرى بن مناد الصنهاجي الذي ولاه اشير ، وجعفر بن علي الأندلسي الذي ولاه المسيلة ، وقبصر المقلبي الذي ولاه باغايسة ، واحمد بن بكر بن ابي سهل البذاصي الذي ولاه على مدينة فاس . الا ان أهل فاس سرعان ما خرجوا عن طاعة المعز لدين الله ، وكذلك يعلى بن محمد اليفرنسي وأهل تاهرت وعادوا الى مبايعة عبد الرحمن الناصر (٢) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاملاسي ، ص ٦٣٢ - محمد جمال الدين سبر ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ .

وفى الوقت الذى أخذ الصراع بين العالمين يزداد حدة فى بلاد المغرب وقع فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م حادث أدى الى اشتعال الموقف ونشوب الحرب بينهما ، وفى هذه السنة قدم من بلاد الشرق مركب لبنى امية ، فلما صار بين صقلية وافريقية من جزيرة صاف فيها قاربا قاما من صقلية يريد افريقية وبه عدة أشخاص ومعهم كتاب من عامل الفاطميين على صقلية وهو الحسن بن على بن أبى الحسن الكلبى الذى خليفة الفاطمى المعز لدين الله ، فخاف الاندلسيون ان يخبروا عنهم الفاطميين قبل وصولهم الى الاندلس فقطعوا عليهم الطريق ، وأخذوا ما معهم من المكاتبات ، وتركوا من بقى فى الجزيرة لا يجدون ما يوصلهم الى افريقية حتى سربهم مركب فحملهم ، وساروا الى المعز لدين الله الفاطمى ، وأطلعوه على ما حدث لهم . ولما علم المعز لدين الله بما حدث أمر قائد اسطوله بتتبع المركب الأسوى وحرقه ، وكان المركب الأسوى قد وصل الى مرسى المربة قاعدة الاسطول الاندلسى ، فقامت المراكب الفاطمية بتدويره واحرقه وكذلك كل ما كان فى مرسى المربة من مراكب أخرى ، ثم نزلوا الى المدينة ينهبون ويسلبون ويقتلون ، وبعد ما عادوا الى المهدية (١) .

وكان هذا الحادث سببا فى زيادة اهتمام عبد الرحمن الناصر

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ - محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ - احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ - محمد صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٢ .

بميناء المرية التى أصبحت القاعدة البحرية الرئيسية للأمويين فى الجنوب الشرقى للأندلس يعتمدون عليها فى مواجهة الخطر الفاطمى .

وتعتبر المرية مرفأ ممتازا ، يقع على شاطئ خليج واسع وعميق يحسبها من الرياح وسمى بخليج المرية . واسم المرية مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذى أنشئت من أجله إذ كانت تتخذ مرفأ ومحرسا بحريا لمدينة بجاية (١) . وقد أصبحت فى مطلع القرن الرابع الهجرى القاعدة البحرية الرئيسية للأسطول الأندلسى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط . وكان عبد الرحمن الناصر قد بدأ يهتم بالمرية منذ سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م لتصبح القاعدة الرئيسية للأسطول الأندلسى بدلا من بجاية لأن بجاية واقعة الى الداخل ، والمرية التى كانت محرسا بحريا لها تطل على الساحل ، ويتسع خليجها باتساعه وعمقه فضلا عن هدوء مياهه وقلة أمواجه ، وكذلك وقوعها على مصب نهر بجاية الذى يسهل للسفن الأندلسية عملية التزود بالمياه العذبة ، ووجود عدد من الحصون والقلاع حولها ما يزيد من قوة الدفاع عنها . كل هذه العوامل دفعت عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م الى اتخاذ المرية قاعدة رئيسية للأسطول الأندلسى بدلا من بجاية ، فبنى سورا حولها وأقام على أحد جبالها قصبتها التى عرفت بقلعة خيران ، وأنشأ بها دارا للصناعة . وقصد ازدادت شهرة ميناء المرية فيما بعد ، فبالإضافة الى كونها قد أصبحت

(١) مدينة بجاية عن المرية على بعد ستة أميال شمالا عن هذه المدينة وأهمية مينائها انظر : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق د . شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

القاعدة الرئيسية للأسطول الاندلسي فقد اكتسبت شهرة كبيرة في مجال التجارة العالمية بين الشرق والغرب إذ أصبحت محطة للسفن الآتية من الشرق الاسلامي ومن بلاد الاندلس كما غدت مركزا ماليا وتجاريا (١) .

وكان قائد أسطول المريه يتمتع بمركز خاص في الأندلس في عصر الخلافة ، إذ لم يكن خلفاء بني أمية يبتون في أمر ما من الأمور إلا بعد استشارة قائد الجيش بسرقطة الثغر الأعلى ، وقاضي قرطبه ، وقائد أسطول المريه (٢) ، وقد تعاقبت في قيادة المريه اسرة الرماح في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر وإلى رجالها يرجع الفضل في صد الهجمات البحرية على الأندلس ، وفي تنفيذ سياسة عبد الرحمن وابنه الحكم المستنصر في المغرب الأقصى وسط سلطان المؤمنين عليه (٣) .

ولم يكن عبد الرحمن الناصر ، ومن بعده ابنه الحكم المستنصر يعتمد على أسطول المريه فقط في تنفيذ الخطط البحرية ومواجهة الفاطميين في المغرب الأقصى وإنما كان يعتمد أيضا على وحدات الأسطول الاندلسي المربطة في موانئ الأندلس الأخرى ، وفي مراسيلها المتمسدة

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه قاعدة الأسطول الاندلسي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، ص ١٣-١٧-٣٣-٣٦-٤١-٤٢ - السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٧٤ - ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، دار المعارف ، ص ١٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٢ - ١٨٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٨ - ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، ص ٢٤٢ - محمد عبد الله شان : دولة الاسلام في الأندلس ، ص ٤٨٨ .

مثل دانية ، وطارلوشة ، واشبيلية ، وقصرايى داتن ، والجزيرة الخضراء ، والمنكب ، ومالقة ، وقادش ، وشلب ، ولنسبة وغيرها من الموانئ والمراسى التى تقع على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للأندلس (١) .

وردا على غارة الأسطول الفاطمى على ميناء المرية ارسل عبد الرحمن الناصر فى السنة التالية (٣٤٥ هـ) أسطولاً مكوناً من ٧٠ سفينة بقيادة القائد غالب الى سواحل افريقية لمهاجمة ميناء سوسة ، فأغار الاندلسيون عليها وغاثوا فيها فساداً وقتلوا ونهبوا وتدمروا ، وفى نفس الوقت زاد عبد الرحمن الناصر من بناء السفن فى دور الصناعة الأندلسية كما اهتم بتشديد مراقبة الاسطول الأندلسى للسواحل الأندلسية ومينائها سبتة فى رأس العدو المغربية خاصة (٢) .

كما أمر عبد الرحمن الناصر بلعبن الفاطميين على المناير ، ولكن هذه الحركة لم تضعف من نشاط الفاطميين بل أدت الى زيادة التوتر والخلاف بين الطرفين لدرجة ان المعز لدين الله أمر بارسال عساكر الى كل مرسى بطريق الأندلس لقتال سفن الامويين ، وفى هذه المناوشات البحرية بين السفن الفاطمية والأمية كان النصر لحليف الفاطميين (٣) .

-
- (١) هشام ابو رميله : نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
 (٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .
 (٣) صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر

والمعز لدين الله الفاطمي

غضب المعز لدين الله الفاطمي غضبا شديدا لخروج المغرب الأقصى من يده ، ودخوله تحت سيطرة الأمازيغيين في الأندلس ، فأرسل جوهرا الملقب في جيش عظيم يصحبه البربر من قبيلتي كتامة ومنهاجه ، وخارج معه جعفر بن علي صاحب المسيلة ، وزيري بن مناد صاحب اشير ، واستطاع جوهرا أن يوقع بعلي بن محمد اليفرنسي صاحب طنجة ، ثم توجه إلى فاس ثم إلى سجلماسة فاستولى عليها ، وقبض على أميرها ، وفتحها عام ٣٤٨ هـ . وبذلك استطاع جوهرا أن يعيد نفوذ الفاطميين على معظم المغرب الأقصى ، أما اتباع الأمازيغيين وأعداء الفاطميين ففسد لجأوا إلى الأندلس مثل علي اليفرنسي وغيره (١) .

ويعتبر عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ١١٧٦ م) امتدادا لعهد أبيه عبد الرحمن الناصر من حيث استمرار سياسته نحو المغرب الأقصى وإزالة الخطر الفاطمي في بلاد المغرب عامة (٢) . وقد قام الحكم منذ عام ٣٦٠ هـ بالتحالف مع أمراء زناتة وبعد سنتين أي في عام ٣٦٢ هـ أرسل حملة إلى بلاد المغرب الأوسط والأقصى للقضاء على دعوة الفاطميين التي عادت إلى الانتشار هناك .

(١) السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

وتمكنت هذه الحملة من تحقيق أغراضها ، فاستطاع الأمويون استعادة نفوذهم في هذه البلاد ، فخرج زعماؤ زناتة ومغراوياء ومكباسة على طاعة خليفتهم المعز لدين الله ، وانضموا إلى دعوة الحكم المستنصر . وفي ذلك يقول ابن خلدون : [وأوطأ العساكر أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة ومغراوياء ومكباسة ، فبثهم في أعمالهم ، وخطبوا بها على منابرهم ، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم] (١) . وكانت بقايا الإدارة (٢) بزعامة آخر ملوكهم الحسن بن قنون الذي أظهر رغبته في إعادة سلطانهم في المغرب الأقصى بعد أن انتقلت الخلافة الفاطمية إلى القاهرة . كما أن قبيلة زناتة تحالفت مع حكام المسيلة من بني حمدون (٣) ، فأصبح هناك

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٢) عند ما خرج أبو العيش من الأندلس للجهاد ومات شهيدا عام ٣٤٨ هـ استخلف على علمه أخاه الحسن بن قنون وهو آخر ملوك الإدارة بالمغرب ، ولم يزل مواليا للمروانيين متسكيا بدعوتهم إلى أن قدم جوهر على المغرب فبايعه وكان ذلك في عهد عبد الرحمن الناصر ، ولكنه رجع عن عهده وبهتته لهم في عام ٣٤٩ هـ ثم انضم إلى بني أمية في خلافة الحكم المستنصر ، ولقد تقلص نفوذ الإدارة إلى منطقة الريف الشمالية وجعلوا لهم قاعدة تسمى حجر النسر وكانت قلعه ضيقة تقع جنوب تطوان ، ولم يكن لهم دولة مستقلة وإنما كانوا يتبعون لولا الدولة التغلبية على المغرب سوا كانت الدولة الفاطمية أو الأموية ، وللمزيد من المعلومات انظر السلاوي : الاستقصا ، ص ١٩٢ - ٢٠٠ .

(٣) بني حمدون حكام المسيلة ، وهما جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون وكان جد هما حمدون من المقربين لدى الخلفاء الفاطميين . وحظي ابناؤه بعده بنفس المكانة ، واستقروا حكاما في المسيلة ، ثم اتهم زعيمهم جعفر بالاتصال ببني خرز ، فتوعدهم الخليفة الفاطمي المعز بالشر ، ففر هو وأخوه السبي بن خرز وامراؤ زناتة واتباع الأمويين وانضموا إلى الحكم المستنصر . وهذا ما سنقتاوله بالتفصيل عن قريب . انظر محمد عبد الله غان : دولة الاسلام ، العصر الأول - القسم الثاني ، ص ٤٩٣ .

وتشجيع وتأيد الحكم المستنصر وحزب كبير مكون من الادارسة والزناديق
وحكام السيلة ضد الدولة الفاطمية . ففي سنة ٣٦٠ هـ نشبت الحرب بين
الطرفين الفاطميين والأمويين وانصار كل منهما ، وكان الطرف الأول
بقيادة زهرى بن مناد الصنهاجى عامل الفاطميين لتحرير المغرب من
قبضة الأمويين ، والطرف الثانى مؤلفا من الادارسة والزناديق وحكسام
السيلة اتباع الأمويين ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، ودفع
زهرى الثمن غالبا جزاء وقوفه مع الفاطميين ، وانتهت المعركة بالهزيمة
القاسية للفاطميين ، ويقتل زعيمهم زهرى بن مناد الصنهاجى وباستيلاء
الزناديق على معسكره انهار سلطان الشيعة فى المغرب ، وكان ذلك
فى العاشر من رمضان سنة ٣٦٠ هـ ، وقطع المنتصرون رأس زهرى من
مناد وأخذ يحيى وجعفر ابنا طى بن حمدون الى الخليفة الحكم
المستنصر فحظيا لديه وغمهما بمعطى وصلاته . وفى ذلك يقول ابن
حيان : [وفى يوم الاثنين لثلاث خلون من ذى القعدة خطب القواد
والعمال بكور الاندلس المجندة فى استقدام بياضها وأعلام رجالها
لشاهدة دخول يحيى بن طى وبني خضر القاديين برأس زهرى بن مناد
الصنهاجى قائد معدة صاحب افريقية] (١) .

ثم أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب شرطته بالقيام مع جنسده
وحرسه ورجاله للاستعداد والتعبئة للتوجه الى استقبال جعفر ويحيى
ومن معهما من اعيان اصحابهما وادخالهم الى قرطبة ، وانزالهم فى

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٤٦ .

مكان يدعى بمنية عبد العزيز ، فتوجه اليهما ، واستقبلهما أحسن
استقبال ، وصاد بهما وقد رفعوا رأس زهرى بن مناد صاحب افريقية
فى قناء عاليه ، وحفه بروس اصحابه الخارجين معه على أهل السنة ،
وكان عددهم مائة رأس . فتوجهوا جميعا الى قرطبة فى موكب عظيم
للدخول والسلام على الخليفة الحكم المستنصر وعلان انضمامهم اليه ^(١) .

ويسترسل ابن حيان فى صفحات أوليه فى ذكر صفه ترتيب الخروج
المعد لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما قرطبة حتى وصلا إلى
مجلس الخلافة فيقول : [ثم استنبضوا إلى المجلس الذى قعد فيه
الخليفة ، فلما نهضوا إلى بابه قبلوا البساط مرة بعد أخرى ، ثم
تقدم بهم إلى السرير وناولهم الخليفة يده ، فتقدم بهم جعفر بالتقدم
والتسليم ، ثم تلاه يحيى أخوه ، ثم قدم بنو خنز الأسن فالأسن ،
فقتضوا ما عليهم من ذلك ، وأمرهم الخليفة بالقعود اكراما لهم وقدم
اصحابهم اثرهم الأسن فالأسن فقبلوا وسلموا ، وشافه الخليفة جعفر
أقبلهم فأوسع يسأله عما لديه ويسطه ، وفعل ذلك بأخيه يحيى بنى خنز
أصحابهما ، ونطق بتقبل نزوعهم وتحقيق رجائهم واحتقاد مكافأتهم
على محبتهم وصياغتهم ، ووعدهم بالاحسان اليهم والتشريف لهم ،
فأعطوا الشكر ، واستهلوا بالدعاء ، واكثروا من الثناء ، وحمدوا الله
تعالى على ما منحهم اياه وألهمهم له من تجد يد اسلامهم وتأكيدهم

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

ايمانهم في قصد هم حرم أمير المؤمنين وامناد هم الى عز سلطانهم
ونبذ هم لدعوة الضلال وشيعة الكفار واعتياضهم عن ذلك بالسنة والجماعة
والعز والطاعة [(١)] .

هكذا أصبح بنو حمدون حكام السيلية مقربين من الخليفة الحكم
المستنصر بعد أن توسع عليهم في الأرزاق ، وأغدق عليهم بالمنح . ونعود
فنقول انه كان لهزيمة الفاطميين بقيادة زهرى بن مناد على يد الزناتيين
والادارسة وحلفائهم من البربر أثر كبير في نفوس الشيعة ، فكانت هذه
النكبة دافعا قويا للخليفة المعز لدين الله الفاطمي أن يأمر في أوائل
سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م بأن يسير ابن زهرى بلكين غازيا المغرب الأقصى ،
لينتقم من قبيلة زناتة الخارجة عليهم ، ولينتقم لمقتل ابيه زهرى وليعهد
الأمر الى مكانها الحقيقي .

خرج زهرى بن مناد الصنهاجي قائد الفاطميين ، وانزل ضرباته
القوية بقبيلة زناتة وطلح كل من تبعها وساندها ، وتتبع الزناتيين في
كل مكان يجد هم فيه سواء كانوا في (بجاية) أو (السيلية) أو
(تاهرت) وغيرها ، فقتل ودمر حتى وصل الى المغرب الأقصى ،
فاستعد بنو خزر للقائه ووقعت الحرب بين الطرفين والحق بقبيلة
زناتة هزيمة منكرة لدرجة أن أميرها محمد بن الخير بن خزر أقدم على
الانتحار خوفا من سطوة بلكين (٢) . وفي ذلك يقول ابن الأثير :

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٢ - ٥٠ .

(٢) محمد عبدالله خان : دولة الاسلام ، ص ٤٩٤ .

[قتل يوسف بلكين بن زهرى محمد بن الحسين بن خنز وجماعته من أهلته وبني عمه وكان قد عصى على المعز لدين الله بافريقية وكثر جمعه من زناتة والبربر ، فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج الى مصر فخاف أن يخلف محمدا في البلاد عاصيا ، وكان جبارا عاتيا طاغيا . اما كيفية قتله فانه كان يشرب هو وجماعة من أهلته وأصحابه فعلم يوسف به فسار اليه متخفيا ، فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه فلمسا رآه محمد قتله بسيفه وقتل يوسف الباقيين وأسرى منهم ، فحل بذلك عند المعز محلا عظيما وقعد للهناء به ثلاثة أيام] (١) .

وهكذا استطاع يوسف بن زهرى الملقب بـ (بلكين) أن يتزل بقبيلة زناتة هزيمة قاسية ، وان يخضع وان يهدم بعض مدنه ، وان يسيطر سلطان الفاطميين على معظم أنحاء المغرب ، وان يقطع دعوة المويدين وان يعيد الدعوة لسادته الشيعة به ، وان ينتقم لمقتل أبيه زهرى (٢) .

وحيثما اطمأن المعز لدين الله الفاطمي على المغرب الى حد ما عزم على الرحيل الى مصر ولكنه كان يفكر قبل انتقاله الى مصر فـ أن يضمن طاعة الفاطميين في المغرب بسبب بعد المسافة بين المغرب ومصر ، لأن ذلك سوف يحول دون فرض سلطان الفاطميين على قبائل البربر الشائرة دوما وخصوصا ان المعز لدين الله يعلم جيدا مدى بأس وقوة تلك القبائل ، ولذلك صمم على تعيين نائب له في المغرب يوافيه

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٢٤٣ .

بالاخبار ، فتركه وهو مطمئن على ملكه . فبدأ باستقدام جعفر بن على بن حمدون . يقول السيد عبدالعزيز سالم نقلاً عن المقرئ : ان المعز قبل رحيله الى مصر استقدم جعفر بن على بن حمدون ، وعرض عليه ان يكون نائباً عنه في بلاد المغرب ، ولكن جعفر كان رده على المعز بشروط قاسية تضمن استقلاله ، فقال له : [تترك معي احمد أولادك أو اخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ، ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجبيه يكون بازا* ما انفقته ، وإن أردت أمراً فعلته من غير أن انتظر ورود أمرك فيه لبعده ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى] . (١)

وهكذا لم يوفق جعفر بن على في الرد على المعز لدين الله فغضب منه وقال : [يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت ان تجعل لي فيه شريكاً في امري ، واستبددت بالأعمال والأموال دوني ، قم فقد اخطأت رشدك] (٢) ، وأبعده المعز عن طريقه واستقدم بلكون بن زيمري ابن مناد وعرض عليه ولاية المغرب وان يكون نائباً عنه ، فكان رد بلكون رداً ذكياً ، فقال له : [يا مولانا انت وآبائوك الائمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صدها جسي بربري ، قتلتنى يا مولانا بغير سيف ولا رمح] (٣) . ولكن المعز استطاع اقناعه وولاه أمراً إفريقية والمغرب ماعدا صقلية وطرابلس ، وسماه

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ - احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، بيروت ، ١٩٧١ ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٦ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف العزيز بالله ، وأوصاه بوصايا عدة قبل خروجه فقال له : [ان نسيت شيئاً مما أوصيتك به فلا تنسني ثلاثة أشياء : لا ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تول أحداً من اخوتك وبني عمك فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، واستوصى بالحضر خير] (١) . ولقد أوصاه أيضاً بأن يفسزو المغرب وان يحاول القضاء على النفوذ الأموي به .

وأشارت ولاية بلقين بن زيري على بلاد المغرب غير منافسه جعفر بن على فخرج على الفاطميين ، ولجأ إلى الحكم المستنصر . وكما علمنا شارت قبيلة زناتة على الفاطميين وخرج عليه أهل تاهرت . وفي أواخر سنة ٣٦١ هـ اتجه المعز لدين الله من المغرب إلى الديار المصرية بعد أن آمن أن متركه من بلاد المغرب في يد أمينه هي يد بلقين بن زيري ولكن تقف قبيلة صنهاجة أمام زحف الأمويين وتقدمهم ، ولكن تكون حجر عثرة في طريقهم وتقدمهم إلى المغرب ونواحيه .

على أن تولية يوسف بن بلقين لم تعط النتائج المتوقعة بالنسبة للفاطميين ، لأن تعيينه منذ البداية قد سبب غير منافسه جعفر بن على الذي لجأ إلى الأمويين فاتخذوه سلاحاً جديداً ضد أعدائهم الفاطميين (٢) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٦٤٢ .

(٢) أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، بـسـيروت ،

١٩٧١ م ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٦ .

وما ان باشر يوسف اعماله في المغرب حتى بدأت القلاقل ، فخرجت عليه القبائل بتحريض ودفع من حکام الاندلس . ففي البداية ثار عليه الزناتيون الذين هاجموا بلاد المغرب الاوسط وقاسوا بالافساد فيها . فاضطر يوسف ان يتجه لحربهم وطرد هم ، وضرب مدينة تاهرت معقل الخارجيين عليه ، ثم اتجه الى تلمسان ليقتل طلي الزناتيين فحاصرهما ودخلها ثم عاد الى القيروان بعد ان وصله كتاب المعز لدين الله ينهيه فيه عن التوغل في المغرب (١) .

وبعد هذه الاشتباكات الطويلة بين يوسف بن زيري والخارجيين عليه شعر الفاطميون باستحالة غزو الاندلس ، كما أدركوا ان خير وسيلة وأفضل طريقة يتبعونها في المغرب امام غارات البربر وثوراتهم واسام الامويين وهجماتهم القتالية ان يتركوا قبيلة صنهاجة مثلة في بني زيري حلفائهم في وجه الأمويين الى الابد بعد ان استقروا في مصر واتخذوها قاعدة لخلافتهم .

وهكذا استمرت السيادة الاموية والفاطمية قائمة على مبدأ المنافسة بين قبيلتي صنهاجة التابعة للفاطميين وزناتة التابعة للامويين ، وضرب احدهما بالآخرى واثارة المشاكل والفتن من وراء ستار (٢) .

ولم ينته العداء بين الفاطميين والامويين في الاندلس بمد وفسادة

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ - صابر دياب :

مرجع سبق رصده ، ص ١٢٨ .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٢٥ .

المعز لدين الله سنة ٣٦٥ هـ ، ويتبين لنا ذلك من أنه عندما تلقى
الحكم المستنصر من الخليفة الفاطمي العزيز بالله بمصر كتابا يسبه فيه
ويهجوه ، كتب اليه الحكم المستنصر ردًا يقول : [قد عرفتنا فهجوتنا
ولو عرفناك لأجبناك (١)]

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٢ - أحمد
مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣١٩ .

(٢) الحكم المستنصر يقضى على محاولة آخر امراء الادارسةالحسن بن قنون في استعادة نفوذ الادارسة على المغرب الاقصى

بعد تلك الحوادث والاشتباكات نلاحظ ان النفوذ الفاطمي على المغرب الاقصى بدأ في الانحسار والتلاشي بعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى القاهرة ، كما ظهر في المدة المغربية لدى امراء زناتة وبعض امراء الادارسة الرغبة في الاستقلال عن الدولة الأموية في الاندلس بعد ان مفا لهم الجواب بتمتع الخطر الفاطمي عنهم . فسير ان الحكم المستنصر كان يرى ان خطر الفاطميين على المغرب الاقصى لا يزال مستمرا - كما سبق أن رأينا - ولذلك كان يرى ضرورة الاحتفاظ بجبل طارق الذي يمكن عن طريقه الاستيلاء على القواعد المغربية الرئيسية الرئيسية المطلة عليه مثل سبتة ومليلة وطنجة ، والتي عن طريقها يستطيع الاحتفاظ بعد نفوذ على المدة المغربية . لذلك نجد ، يعمل منذ توليه الحكم عام ٣٥٠ هـ على تدعيم قاعدة المربة واداءها بكل ماتحتاجه من حصانه ، فنراه ينتقل اليها في عام ٣٥٣ هـ لمشاهدتها واستكمال حصانتها والاطلاع على حصونها والتأكد من مناعتها لأنه كان يتوقع غزوا لها فأراد أن يشرف بنفسه عليها ، وان يضع الخطط المحكمة لسرد أي عدوان عليها ، لأن معظم وحدات الاندلس كانت ترابط في المربة لمواجهة الأخطار الخارجية (١) . كما زادت قطع الاسطول الاندلسي في

(١) ابن عذاري : مرجع سبق وصفه ، ص ٢٢٦ .

حصر الخليفة المستنصر حتى بلغت ستمائة قطعة (١) . فقد اهتم الحكيم المستنصر بالاسطول الاندلسى اهتماما كبيرا ، وحرص على أن يوزع وحداته على المربى التى أصبحت قاعدة للأسطول الاندلسى فى البحر الأبيض المتوسط ، وعلى اشبيلية التى كانت قاعدة ثانية للأسطول الاندلسى أيضا . ولقد أدت زيادة عدد وحدات الاسطول فى عهده الى توزيعها على هذا النحو أى على قاعدتى المربى واشبيلية خشية ان تحدث أخطار بسبب تجميع وحدات الاسطول الاندلسى فى قاعدة واحدة ، كما انه كان بالامكان ان تسرع وحدات أى من القاعدتين للانضمام الى وحدات القاعدتين الأخرى فى حالة تعرضها لهجوم محتمل . وكانت المهمة الأساسية الأساسية لقاعدة المربى هى الدفاع عن الاندلس من أى هجوم فاطمى عليها واتخاذها قاعدة هجومية للاندلس على بلاد المغرب ، بينما كانت المهمة الأساسية لقاعدة اشبيلية هى حماية السواحل الاندلسية على المحيط الاطلسى (٢) .

غير أن تلك الخطة المحكمة لحماية بلاد اصطدمت بمصالح امراء الادارسة من بنى محمد الذين طمعوا فى الاستقلال واستعادة قوتهم وسيطرتهم على الجهة الشمالية للمغرب ، فقرروا القيام بثورة فى عام

(١) السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١١١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربى ، ص ٤٨ - ارشيدالد لويش : القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٢ .

٣٦١ هـ / ٩٧٢ م بقيادة زعيمهم الحسن بن قنون الذى قاسم دعوة بسنى
أمية واحتل المناطق الرئيسية والمهمة مثل طنجة وتطوان وأميلا ،
واتخذ له قاعدة استراتيجية هامة وغنية واقعة على جبل مرتفع فى
شمال شرق القصر الكبير تسمى حصن الحجر أو حجر النسر ، كناية
عن علوها وارتفاعها . واما تلك الحالة الخطرة التى فرضها الدارسة
تعمين على الدولة الأموية فى الاندلس تغيير سياستها واتباع سياسة
صريحة وواضحة تقوم على التدخل المباشر فى قلب العدو المغربي
للمحافظة عليها كخط دفاع رئيسى للاندلس ضد أى هجوم يهددها
من بلاد المغرب . وقيل ان نستربل فى الاحداث عن الدارسة
يجب ان نلقى الضوء على زعيمهم الحسن بن قنون ، فنقول عنه انه
الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ، تولى الزعامة
بعد أن توفى اخوه فى الجهاد فى عهد عبدالرحمن الناصر عام ٣٤٨ هـ .
ولقد استمر الحسن بن قنون مائعا للمويين فى الاندلس الى ان سمع
بخروج جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى لاستعادة نفوذ الفاطميين
على المغرب الاقصى وتثبيت سياستهم عليه ، وما كان من تغلبه على
جميع اتباع المويين به فقرر الخروج على المويين والعودة الى الفاطميين
خوفا منهم لا حبا فيهم . ولكن لما رحل جوهر الصقل عن المغرب
الاقصى عاد الحسن الى دعوة المويين سوا* كما كان فى عهد عبدالرحمن
الناصر أو فى عهد ولده الحكم المستنصر خوفا منهم لقرب بلادهم
واستمر على طاعتهم حتى أرسل المعز لدين الله بلقين بن زيرى لفتح

المغرب الاقصى وأخذ الثأر لمقتل ابيه زيرى بن مناد ، فنجح ففى
احتلاك المغرب الاقصى وقطع دعوة الامويين وأخذ البيعة للمعز لدين الله
كما فعل جوهري من قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته والى قطع
دعوة الامويين ونصرة الفاطميين هو الحسن بن قنون (١) صاحب مد ينسمة
البصرة فظهر نفسه بتلك الطريقة انه من اتباع الفاطميين فعلم الحكم
المستنصر بنواياه فحقد عليه وعزم على حربه (٢) .

وعند ما عزم الخليفة على حرب الحسن بن قنون أرسل فى طلب
قائده قاسم بن طلمس وأسره بالتعبئة والاستعداد للخروج لحرب الحسن
ابن قنون لنبذه لولاية الامويين ، وانجرفه الى دعوة الفاطميين المضلة ،
وابطال الدعاء لهم على المنابر . وأوصاه قبل رحيله بعدة وصايا هامة
حين انتصاره وهى : ان يأخذ بالعفو ، ويؤثر الصغح ، ويقبل العذر ،
ويحسن التجاوز ويتحرى العدل فى سيرته ، فكانت وصايا هامة تعدل
على عمق دين المستنصر وخوفه من الله العلى القدير . وودعه بعد
ان خلع عليه بما يستحقه من التكريم فانطلق خارجا من الجزيرة الخضراء
الى سبتة ثم تقدم الى مدينة تطوان فوجدها خالية ثم تقدم نحو
مدينة طنجة فدعا أهلها الى الطاعة والعودة الى الجماعة ، فأسأوا

(١) قنون أو كنون أو حنون - اما قنون وحنون فقد وردتا فى المقتبس لابن حيان ،
اما حنون فقد وردت عند ابن زرع فى روض القرطاس .
(٢) ابن ابن زرع : روض القرطاس ، ص ٨٩ - ٩٠ - السلاوى : الاستقصا ،
ص ٢٠ .

الرد وأعلنوا الحرب وكان معهم الحسن بن قننون يشد من عزمهم .
 والتقت الفتتان الأولى بقيادة القائد ابن طلمس والثانية بقيادة الحسن
 ابن قننون ، وقد بقي الحسن بالهزيمة فقرر الفرار ، واستسلم أهل
 طنجة وخرج شيخهم ابن الفاضل ناديا بالطاعة لله تعالى ولأمير
 المؤمنين الحكم المستنصر ، ثم استسلم ورغب في الأمان لنفسه وأهله
 وأهل بلده فأعطى ما أراد . وفي أثناء تلك الأحداث أرسل الحكم
 المستنصر إلى قائد البحر عبد الرحمن بن رصاص وأمر رجاله بالتأهب
 واعداد الاساطيل - أي اسطول المربة واسطول اشبيلية - ليكونوا على قرب
 من القائد محمد بن القاسم بن طلمس وليطاعوا الحكم المستنصر بأخبارهم
 وتحركاتهم وانتصاراتهم ، فيشروه أولا بفتح طنجة وفرار ابن قننون . ثم
 التقى ابن طلمس مرة أخرى مع ابن قننون ، واستمرت الحرب مرة أخرى ،
 وفر ابن قننون إلى جبل حصين يدعى جبل الريح فتحصن به ، ولكن
 جنود القائد محمد بن القاسم بن طلمس استطاعوا ان يستولوا على
 الجبل وان يحيطوا به ، ثم توجهوا بعد ذلك إلى مدينة أصيلا بعد
 ان من الله عليهم بفتحها ، ودخلها الوزير القائد وتوجه إلى جامعها
 بعد ان علم ان فيه منبرا موسوما باسم معبد بن اسماعيل امام الشيعة (١) ،
 فأمر باقتلعه واحرقه بالنار ، ثم اتجه إلى مدينة دلول . وفي تلك
 الاثناء وصلت اليه الاسوال والامدادات للمنطقة على الحرب الدائرة بينه
 وبين ابن قننون من الخليفة الحكم المستنصر . وفي أوائل سنة ٣٦٢ هـ قتل

(١) المعز لدين الله الفاطمي .

الوزير القائد محمد بن قاسم بن طاطس بفحص مهران على يد حسن بن قنون وقتل معه مجموعة من جنوده وكانوا خسمائة رجل من الفرس^١ ومن الرجال ألف . أما باقي الرجال فقد تحصنوا بسبته وأرسلوا إلى الحكم المستنصر باليون النجدة والفتوح (١) .

وبعد ذلك استدعى الخليفة الوزير القائد الأتلي غالب بن عبد الرحمن لحرب حسن بن قنون . وكان القائد غالب رجلاً محنكاً في غاية الحزم والشجاعة والنجدة والاقدام ، فاعدق عليه الحكم المستنصر الأموال وأرسل معه الرجال الأشداء وأمره بقتال الأعداء وإخراجهم من معانقهم ، وأوصاه بوصية هامة تدل على مدى فهم وإدراك الحكم المستنصر لأبيهم^٢ أولئك الشوار ونفسية هؤلاء المحاربين فقال له : [سر يا غالب ! سحر من لا اذن له بالرجوع إليها منصوراً أو ميتاً معذوراً ، ولا تشج بالمال وابسط يدك يتهكمك الناس] (٢) .

ثم قدم له عشرة آلاف دينار لصلات الخارجين اليه من وجوه القبائل المنصرفين عن الحسن بن قنون وزعمائهم لكي توزع عليهم حسب مقدارهم استئلافاً لهم وقرن بها فاخر الكسوة للخلع به عليهم (٣) .

وفي عام ٣٦٢ هـ / ٩٣٧ م علم الحسن بن قنون بقدم ذلك الجيش

-
- (١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٨٩ - ٩٠ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .
 (٢) ابن أبي زرع : روض القراءات ، ص ٩٢ - السلاوي : الاستقصاء ، ص ٢٠١ - ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .
 (٣) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٨ .

العظيم قدب الذعر والرعب في نفسه ، فخرج من مدينة البصرة وتركها خالية خالية واصحاب أهله وماله وولده وذخائره ، واتجه بهم الى قاعدته المنيعه (جبرالنسر) التي تقع بالقرب من سبته ليتخذها مقبلا وسأوى يتحصن فيه . ولكن القائد غالبا كان قد أعد للأسر حذائمه ، فاتجه اليه ودارت بينهما حرب شديدة استمرت عدة أيام . واستطاع غالب ان يحقق نجاحا عظيما بوصية سيده الحكم ، فبعث بالأموال التي رؤسها البربر ورضيهم ومناههم وأطلبهم ان ساروا معه فلبس ما يريدون .

وكان لتلك الخطة الحكيمة اثرها في رجال الحسن ، ففرق شملهم ، وتشتت جمعهم وانضم اليه كبار رؤس القبائل حتى لم يبق مع الحسن ابن قنون الا رجاله المقربون وخاصته ، ولذلك انسحب الى حصنه وتحصن به ، ولكن القائد غالبا ضرب عليه الحصار من كل ناحية وقطع عنه جميع الموارد . وكان الحكم المستنصر قد أمده بكل ما يحتاجه من الاموال والعتاد .

وفي سنة ٣٦٣ هـ . أمده برجال وقوات من غرب الاندلس ومن رجال الثغور فاشتد الحصار على الحسن بن قنون حتى أيقن بالهلاك والبوار ، فطالب من القائد غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله ، وطاعه على أن يسير معه الى قرطبة . فقبل القائد غالب توبته ، ونزل الحسن بجميع ما طلب منه القائد غالب وسلم الحصن اليه . ولكن القائد غالبا لم يكشف بذلك النصر المؤزر بل عزم على استئصال شأفة الدارسة ، وتتبعهم وأخرجهم من جميع معاقلهم ، وتولية رجاله بدلا منهم واسم

يترك بالعدوة رئيسا منهم الا وخلعه وعين بدلا منه . ثم تقدم الى فاس فاستولى عليها وعين عليها محمد بن علي بن قشوش في عدوة القرويين ، وعهد الكريم بن ثعلبة في عدوة الاندلسيين . وانصرف بمعد ذلك عائدا الى الاندلس مستحبا معه الحسن بن قنون وجميع بقايا الادارسة بعد أن أحسن في تنفيذ وصية الحكم المستنصر في دخول المغرب وتفريق جمعهم وقطاع الدغوة للفاطميين وتوليته رجال الامويين فيها (١) .

هذا وقد حملت البشائر والتهاوى الى الحكم المستنصر بنصرة قائده غالبا ورجاله ، فكان لذلك أشركبير في نفس الحكم الذي أمر الناس بالخروج للقائد المظفر ، فخرج الجميع لاستقباله وطلبوا رأسهم وجوه رجال الدولة في مكعب ظايم . وقد بالغ المستنصر في اكرامهم ، وغنا عن الحسن بن قنون ومن معه من الادارسة ووسع لهم في العطايا ، وكان مع الحسن سبعمائة رجل ، فأنزلهم بقرطبة وهيباً لهم الدور الرحبة لا قاصتهم ، وأغدق عليهم من الاموال الكثيرة لمصرفهم وظلوا مقيمين في قرطبة (٢) .

وفي سنة ٣٦٥ هـ وقعت الجفوة بين الحسن بن قنون والحكم المستنصر لعدة أسباب منها : سوء خلق الحسن وقسوة قلبه ، فقد كان رجلا جاهلا متهورا قاسى القلب ، لم ينس له الحكم المستنصر سوء

(١) ابن ابوزرع : المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢ - السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

معاملته للأسرى الأندلسيين حيث كان يلقي بهم من أعلى قلعته (حجر النسر) فيصلون إلى الأرض مقطوعين أربا أربا (١) . بالاضافة إلى ثقل نفقاتهم ، حيث كانت تنفق عليهم الأموال الباهظة . وكما يقال أنه كان للحسن بن قنون قطعة من غريبة الشكل كبيرة الحجم حصل عليها في بعض سواحله ، فعلم الحكم بها فأحب أن يأخذها منه ، ولكن الحسن امتنع ورفض أن يقدمها له . واجتمعت كل هذه الأسباب وأدت إلى حدوث النفرة والجفوة والكراهية بين الحكم المستنصر والحسن بن قنون ، فأمر بإخراجه من قرطبة وترحيله إلى الشرق ، فركب الحسن بن قنون من ميناء المريه بالأندلس إلى مدينة تونس ، ومنها سار إلى مصر حيث نزل عند الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذي سر لقدمه وأكرم وفادته ووعد بالمساعدة في الأخذ بالشار من غلبه وأخرجه (٢) .

ومن الأحداث المهمة التي وقعت قبل تلك الفترة بعامين وفي عام ٣٦٣ هـ بالتحديد أن جعفرا ويحيى ابني علي بن حمدون الأندلسي تعرضا لنكبة من النكبات . فعندما قدما إلى الأندلس برأس زيري بن مناد الصنهاجي ، أمر الحكم المستنصر بإزالة لهما في قرطبة في أحسن هيئة وأتم أمر تحت كفه ورعايته ، وفي نفس الوقت أمر الحكم المستنصر بابتضاع عبيدهما الذين استعفوا من خدمتهما . وتمت المبايعه بمحضر من

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .
 (٢) السلوي : المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

الفقهاء* ، فانضم هؤلاء العبيد بعد ذلك الى خدمة الحكم المستنصر . وبعد مضي فترة ليست بالقصيرة اختلف جعفر ويحيى عما اتفقا عليه مع الحكم المستنصر ، فقد كان لشراء العبيد منهما أثر سيء في نفسيهما فتكلما بكلام سيء وجاهرا بحبهما للخلفاء الفاطميين واستهاننا بالخلافة الأموية ، فظهر ما في نفسيهما من أحقاد قديمة . ولما بلغ ذلك الى طم الخليفة الحكم المستنصر أمر بالقضاء القبض عليهما ومعاقبتهما وايداعهما السجن ، وكان ذلك في شهر شوال سنة ٣٦٣ هـ . ولبثا في السجن عدة أشهر ثم عفا الحكم المستنصر عنهما وأمر باطلاق سراحهما بعد أن اعترفا بخطأهما في حقه وحق الخلافة ، ثم وصلهما بالأموال وبرهما بعطفه عليهما (١) .

وهكذا استطاع الحكم المستنصر ان يضمن سيادته على المغرب الأقصى وان يحصى بلاد من أي خطر فاطمي أو زيري يهدده من ناحية الحدود المغربية (٢) .

* * *

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٧٣ .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٣ .

الفصل الرابع

الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

- ١ - صورة موجزة من تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر .
- ٢ - الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهوده العلمية والتعليمية .
 - أ - تنشئته العلمية وهو ولي العهد .
 - ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية .
 - ج - جهوده العلمية والتعليمية .
 - د - انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة .
 - هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبة .
 - و - جامع قرطبة يتحول الى جامعة علمية في عهده .
- ٣ - الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر
 - أ - العلوم الشرعية .
 - ب - العلوم اللغوية والأدبية .
 - ج - العلوم الانسانية .
 - د - العلوم التجريبية .

(١) صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد

عبد الرحمن الناصر

نهضت الثقافة الاندلسية في فترة الخلافة نهضة شاملة في جميع ميادين الحياة ، وكان من أبرز سمات تلك النهضة وضوح الشخصية العلمية للأندلس واستقلالها وظهرها الى حد كبير ، وما لاشك فيه ان الظروف التي اجتمعت في الأندلس في تلك الفترة قد ساعدت الى حد كبير على رفع راية العلم غفائه عاليه ، فالوحدة والاستقلال ، والأمن والرخاء ، والتحضر والرقى والتفتح ، كل ذلك دفع الى حياة ثقافية ناهضة ومشرقة ، وصلت الى أعلى مستوى وأرقى مكانه خصوصا حين نعلم ان راعي تلك النهضة العظيمة عبد الرحمن الناصر ومن بعده ابنه الحكم المستنصر كانا من أعظم حكام بني أمية قاطبة . فعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر وفرا للأندلس حياة مستقرة وموحدة وهادئة السى حد كبير ، وأتاحت تلك الحياة النهوض في مختلف مجالات العلم وخلق الاجواء المناسبة للابتكار والعطاء ، وذلك بتشجيع أهل العلم سواء كانوا من المشارقة أم المغاربة (١) .

ويعتبر عصر عبد الرحمن الناصر - على وجه التخصيص - من أزهى عصور الاسلام ، لأنه كان عهد يسر ورخاء ، توطدت فيه مالية الدولة

(١) أحمد هيكل : الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ص ١٨٤ .

فاثلأت خزائنها بالأموال ، وزاد الخراج فيها زيادة عظيمة باستتباب الأمن ، وزهت الزراعة ، ونهضت الصناعة . وبرزت العلوم والآداب والفنون فى جميع اطراف المملكة ، فأصبحت المعيشة ميسورة ، وعاش الناس حياة مستقرة ، وادعة نعموا فيها بكل مطالباتهم ، وحققوا فيها كل أمانيتهم ، حتى غدت قرطبة درة بلاد الاندلس ، وبلغ عدد سكانها أكثر من خمسمائة ألف (١) .

ولقد أولى حكام بنى أمية فى الاندلس العلم أكبر رعاية منهم واهتمامهم منذ عصر الاسير عبدالرحمن الداخل الذى استطاع أن يوطد أمور الدولة ، وينشر الأمن ، وان يشجع من خلفه على دفع حركة العلوم بجميع فروعها ، فسار على نهجه الامراء جميعا حتى جاء عصر الخلافة ، فوجدت عوامل جديدة دفعت عجلة النهضة الأدبية والثقافية دفعة قوية . وفى ذلك العصر أى عصر الخلافة ساد الاستقرار السياسى فى الداخل ، والهيبة والعظمة والقوة فى الخارج ، ونظمت اقتصاديات البلاد تنظيمًا شمرًا ومنتجا عاد على الشعب الاندلسى بالأمن والرفاهية والرخاء ، وبدأت حركة جمع الكتب فى القصر الخلفى وفى منازل الامراء وكبار رجال الدولة ، وشارك الشعب الاندلسى فى نسخها ونشرها وجمعها واقتنائها والحرص عليها حتى تكونت المكتبات واثلأت بالمخطوطات ، وحملت الكتب النفيسة من كل مكان ، وحمل معها كنوز من العلم والآداب ،

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلاسية شرقية واندلسية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ص ١٨٥ .

ورحب الخليفةان عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بالعلماء والادباء
وشجعاهم على المجىء الى الاندلس وبالغا في اكرامهم والحفاوة
والترحيب بهم وافسحا لهم كل المجالات لنشر دراساتهم وافكارهم .
فقد وفد عليهما عدد كبير من العلماء الاجلاء من مصر والشام والمغرب
والعراق ، وأخذ الرحالة من طلاب العلم في الاندلس يشدون رحالهم
الى منابع العلم والأدب في الحجاز والشام ومصر وبنغال ، ينهلون من
هذه الحياض العذبة بالمعرفة والعلم لكي يعودوا الى بلادهم لينشروا
ما تعلموه بعد أن وجدوا من التشجيع والتقدير ما شجعهم وحفزهم على
تحمل جميع مشاق السفر طالبا للعلم والاستزادة منه . وهذه الطريقة
نقلت حضارة الشرق ومدنيته وطوره الى الاندلس الخصيب البانح المزهر ،
كما نقل الى الشرق على يد المغاربة والاندلسيين ما اسهموا به بدورهم
في مجالات الحضارة الاسلامية ، وهكذا أصبح هناك تبادل علمي كبير
بين الشارقة والمغاربة والاندلسيين . ولم يكن أهل الاندلس ينقل
علوم الشارقة بل وسعوا في بعضها وطوروها مثل علم الأدب واستحدثوا
له فروعاً جديدة . ولم يعد الأدب قاصراً على النشر والنظم والخطابة
والشعر . بل شمل أيضا بعض العلوم الانسانية ذات الملة الوثيقة
بالحياة مثل الاخلاق وأدب الحديث وتاريخ الأدب والتاريخ بأنواعه .
ولم يكتفوا بذلك كله بل جعلوا الطبع والنوادر بعض هذا الفن ، فكانهم
أرادوا أن يميزوا بين الادب والعلم . ومن أمثلة ذلك الكتاب الذي ألفه
الاديب الشاعر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد الذي كان مقربا وأثيرا
لدى الناصر نفسه ، فقد كان الناصر شاعرا يرتاح للشعر وينسبط الى

أهله ، بل كان ينظمه ويقرب الادباء والشعراء له . فكتابه العقيد
 الفريد يعتبر من أقدم وأعظم الكتب التي ألغت في الاندلس ، وهو
 صورة ومراء صادقة لما كانت عليه ثقافة الاندلس ، كما أوضح ابن عبد ربه
 في كتابه الأدب ومفهومه وما يجب عليه ان تكون حياة الاديب أو المواطن
 المثقف ، قد نظمته كنظام الجوهري الحاذق للعقد الثمين ، فكون حياته
 من خالص الجواهر ، واختار لكل باب من أبواب كتابه اسم جوهرة
 معروفة من الجواهر ، فهذا باب الياقوت ، وهذا باب الزبرجد ، وهذا
 باب الزمرد ، . . . وهكذا . اما محتوياته فهي مجموعة غريبة من الموضوعات
 فهو يتتدى بعلم السياسة وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وينتهي بالطب
 والنوادر الادبية والا حاجي والالغاز (١) .

ولا يعرف لابن عبد ربه كتاب غير العقد وديوان شعر مقيسود ، وذكر
 صاحب كشف الظنون أن له كتابا آخر سماه (اللباب في معرفة العلم
 والادب) ، وله في عبد الرحمن الناصر الارجوز الشهيرة التي فصل
 فيها مفازيه مرتبه على السنين الى سنة ٣٢٢ هـ ، وقد أوردها في
 كتاب المسجد الثاني في اخبار الخلفاء في تاريخهم من كتاب العقد
 الفريد ، وقد توفي ابن عبد ربه عام ٣٢٨ هـ (٢) .

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا على الاندلس في زمن الخليفة

(١) على محمد راضي : الاندلس والناصر ، القاهرة ، دار الكتاب العربي
 للطباعة والنشر ، ص ٥٦ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العربي ، لبنان ،
 ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م ، المكتبة التجارية الكبرى ، ج ١ ، المقدمة .

عبد الرحمن الناصر العالم الكبير أبو علي القالى . وهو اسماعيل
ابن القاسم بن عبدون بن هارون مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن
سروان من اهالى (قالى قلا) يكنى ابا علي وولد بشار جرد من ديار
بكر ، وخرج الى بغداد لطالب العلم . أما سبب تسميته بالقالى فلأنه
منسوب الى قالى قلا بلد من أعمال أرمينية كان برفقة أهلها أثناء دخوله
بغداد فنسب اليها لكونه معهم . وأما سبب تسميته بالبغدادى فلطول
اقامته هناك حتى ذاع صيته وعمت شهرته فخرج من بغداد الى المغرب .
ويقال ان عبد الرحمن الناصر سمع به وبعلمه فكاتبه ورغبه فى المجىء الى
الاندلس فوفد اليها . وقد سرع عبد الرحمن الناصر به وقربه منه ،
وبالغ فى اكرامه وأسكنه فى قرطبة لينشر علمه بها . وكان القالى اما
فى اللغة فاستفاد منه الناس ، وكانت كتبه غاية فى التقييد والضببط
والاتقان ، وله عدة مؤلفات مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة
قراءته . ولقد ألقى كتابا على طلابه سماه (كتاب النوادر) وكتابا آخر
يدعى (البارع) ويحتوى على لغة العرب ، (وكتابا فى المقصور والمدود
والمهموز) . ولم يؤلف كتاب مثله (١) .

(١) الضبي : بغية الملتصق فى رجال اهل الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٢م ،
دار الكتاب العربى ، ص ٢٣١ - ابن الغضى : تاريخ علماء الاندلس ،
القاهرة ، ١٩٦٦م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع مجل العرب ،
القسم الاول ، ص ٦٩ - الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس ،
القاهرة ، ١٩٦٦م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٦٤ - القالى :
الامالى ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ١ ، المقدمة -
المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد
المرينى ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م ، مطابع شركة الاعلانات
الشرقية ، ص ٥٩ .

وقد أنجبت قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر عددا كبيرا من رجال العلم والدين والادب . فلو تتبعنا جميع العلماء الذين ظهرت في تلك الفترة لملأنا الصفحات الكبيرة منهم ، ولكن حسبنا ان نذكر أعظمهم وأعلامهم شأننا في مجال العلم . ففي مجال العلوم الشرعية نبغ قاسم بن ثابت بن حزم الذي عني بجمع الحديث واللغة هو وأبوه ، وادخلا الى الاندلس علما كثيرا . وألف قاسم هذا أيضا كتابا في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه غاية الاتقان ، ومات قبل اكماله فأكماله له أبوه . ويعتبر هذا الكتاب من أحسن الكتب وأعظمها . وكان قاسم هذا عالما بالحديث والفقه ومتقدما في معرفة الفريب من النحو والشعر ، وكان ورعا ناسكا ، توفي سنة ٣٠٢ هـ (١) .

ومنهم أيضا المنذر بن سعيد البلوطي ، وكان عالما فقيها وأديبا بليغا وخطيبا على المنابر وفي المحافل ، وكان مائلا الى القول بالظاهر . ومن مؤلفاته كتاب (الانباء على استنباط الاحكام من كتاب الله) ، وكتاب (الابانة عن حقائق اصول الديانة) ، ولقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب العلم منها فاستزاد بها (٢) .

أما في مجال الادب فلقد برز فيه الكثير من العلماء ، ومن أشهرهم ابن عبد ربه وقد تحدثنا عنه ، وفي الشعر نبغ الرمادي ، ومحمد بن يحيى القلقاط . وكان لهما دور بارز في مجال الشعر والادب . أما

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٣٦٠ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٥٧ .

الفلسفة فلقد ظهر في عهد عبد الرحمن الناصر محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي الذي أمر الناصر بإحراق كتبه وممتلكاته لأنها تضمنت اشارات غامضة عن الملحدين (١) .

أما في علم الطب ، وقد حفل الطب باهتمام كبير من قبل عبد الرحمن الناصر وهذا يرجع الى ما قام به الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع في سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م من اهدائه عبد الرحمن الناصر كتابين من تصنيف الاوائل ، احدهما كتاب ديسقوريدس في الطب ، وثانيهما كتاب هروشيش في التاريخ . فأما كتاب هروشيش فقد ترجمه الاندلسيون من اللاتينية الى العربية بواسطة قاضي الناصري الوليد بن خيزران والعلامة قاسم بن اصبح ، ولم يكن لهذا الكتاب من التأثير في كتابات مؤرخي الاندلس بقدر ما كان تأثيرهم به في مجال الجغرافيا (٢) .

أما كتاب ديسقوريدس فيعتبر فاتحه خير للاشتغال بالطب في الاندلس فقد حوى هذا الكتاب اسما معظم النباتات الطبية وخواصها وصورها وقد طلب عبد الرحمن الناصر من الامبراطور البيزنطي ارسال عالم حاذق بترجمته الى اللغة العربية فوصل ذلك العالم عام ٣٤٠ هـ الى الاندلس ، وكان راهبا يدعى نيقولا للقيام بهذه المهمة . وتألفت

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٣١٢ .
 (٢) سعد البشري : الحياه العلميه في عصر الخلافة في الاندلس ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٩ ، ٢٩٩ .

معه مجموعة من علماء الاندلس المبرزين فى علم اللغات لدراسة هذا الكتاب وترجمته وتوضيح اسما وأنواع النباتات التى وردت فيه . فعميت الفائدة بترجمته واستفاد أهل الاندلس به وتعددت المؤلفات بعد ذلك فى الطب ، وتنوعت فى فروعه ، وكثر الأطباء ، ونبغوا فى ذلك العصر حتى تكونت مدرسة عظيمة بتشجيع عبد الرحمن الناصر وتبنيته الجسور المناسب للعلماء حتى يمكننا ان نطلق عليها مدرسة الطب . ومن الأطباء الذين برزوا فى هذا المجال الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط (١) ، ويحيى بن يحيى المعروف بابن التيميه وكان بصيرا بحساب النجوم والطب وغير ذلك من العلوم المتنوعة ، وكان متصرفا فى معانى الشعر والفقه والحديث وعلم الجدل . وبرز أيضا محمد بن اسماعيل المعروف (بالحكيم) وكان عالما بالحساب والمناقب وكان نحويًا ولغويًا (٢) . ونكتفى بذكر هؤلاء الاعلام الذين ظهروا فى عصر الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر الذى اعتبر عصره عصر العظمة والقوة بل العصر الذهبى لاندلس ، فلقد عمل كل ما فى وسعه لجعل ملكته الملكية السبابة فى ميادين العلوم والنهضة . ولقد أبدع ابن ابيبار فى وصف مدة ولايته وحكمه بقوله [ظهر لأول ولايته من يمن بآثره وسعاده جده واتساع ملكه وقوة سلطانه واقبال دولته وخمود نار الفتنة على اضرامها بكل جهه ، وانقياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره الأوهام وتكسل

(١) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٢٦ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ص ١٠١ -

فى تحبيره الاقلام ، وقبضه من ابنه وولى عهد الحكم المستنصر بالله الدعوى بأسير المؤمنين بعده من زان ملكه ، وزاد فى ابهته وقام بأمره أحسن قيام فكمل جلاله وجل كماله [(١)] .

وهكذا اجتمع للاندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من أسباب القوة والسلطان والعظمة ما جعل الاندلس يتبوأ مركز الصدارة بين الدول الإسلامية حتى اعتبر عصره من أعظم العصور قاطبة ، فلم تمل دولة من الدول سواء فى الشرق أو الغرب الى ما وصلت اليه دولة الناصر من القوة والسود والهيبة والتفوذ ، ولقد اعترف بعظمته المؤرخون المحدثون والقدماء على السواء . ولعل ابلغ ما قيل عنه فى عصرنا الحديث ما ذكره العلامة دوى حين قال : [لقد كانت هذه نتائج باهرة ولكنها نجد اذا ما درسنا ذلك العصر الزاهر ان الصانع يشير الاعجاب والدهشه ، باكثر ما يثيرهما المصنوع . تثيرهما تلك العبقرية الشاملة التى لم يفلت شئ منها ، والتى كانت تدعو الى الاعجاب فى تصرفها نحو الصفائر ، كما تدعو اليه فى اسنى الامور . ان ذلك الرجل الحكيم النابه ، الذى استأثر بمقاليد الحكم وأسس وحدة الأمة معا ، وشاد بواسطة معاهداته نوعا من التوازن السياسى ، والذى اتسع تسامحه الفياض لأنه يدعو الى نصحه رجالا من غير المسلمين لأجدر بأن يعتبر قرينا لطوك العصر الحديث لا خليفه من خلفاء العصور

(١) ابن الابرار : الحلة السمرية ، تحقيق حسين موسى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٩٨ .

الوسطى [(١) .

هذا ما كان من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، الحافل بالعلم
وأهله . ولنتقل الى عهد ابنه الحكم المستنصر لنعرض كيف أصبحت
الحياة العلمية في الاندلس أكثر إشراقا وأكثر ازدهارا .

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم
الثاني ، ص ٤٦٣ ، نقلا عن دوزي .

(٢) الحكم المستنصر الخليفة العالم

وجهوده العلمية والتعليمية

أ - تنشئته العلمية وهو ولي العهد :

ففي عام ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م من الله على الاندلس بعنه جد يـسـدة
ألا وهي ولادة الخليفة العاظم الحكم بن عبد الرحمن ، ولقد سر عبد الرحمن
الناصر بمولده سرورا عظيما ، وأظهر سعادته وغبطة بالانعام على
من حوله ، وتقدمت الطبقات من الناس بالتهاني ، وانشد الشعراء
قصائد هم مهنئين بمولد ذلك الخافل السعيد :

ومن ذلك قول الفقيه احمد بن عبد ربه :-

هـلال نساء البدر واختاره الفجر	تلقت به شمس وأنجمه زهر
على وجهه سيما المكارم والعلو	فضاءت به الآمال وابتهج الشعر
سلالة أفراس وبیت خلايف	أكرمهم بحر ونالهم غمر
بدا لملاة الثاهر نجم مكارم	تحف به العليا ويكفه الفخر
نماه الى العليا خير خليفه	تتبه به الدنيا ويزهى به العصر

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر على تربية ابنه تربية خاصة توفهـلهـ
لتولي المناصب من بعده ، خصوصا لأنه كان مرشحا لمنصب الحكم
مستقبلا ، فلقد عهد اليه أبوه بولاية العهد وهو لم يتجاوز الثامنة
من العمر منذ ان كان طفلا (١) .

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم
الثاني ، ص ٣٧٨ .

كما حرص على أن يعهد به إلى كبار علماء عصره ليلقنوه العلم على الأصول الصحيحة منذ المأخوذة بالأكبر ، وقد صادف اهتمام الأب رغبة في الابن كبيره على فهم دروسه واستيعابها والتفوق فيها والاستزاد منها بما فطر عليه من الموهبة والاستعداد الطبيعي ، فمجرد العناية والاهتمام تفجرت تلك المواهب والاستعدادات لتظهر من العلم جليل كسل منه المعرفة والاستزاد في طلب العلم حتى شغف به ، وأصبح من رجال العلم البارزين الذين يشار إليهم بالإنسان .

ولقد ظهرت نجابة الحكم منذ صغره فكان هو وأخوه عبد الله يتنافسان على العلم وأهله ، وفي ذلك يقول ابن الأبار : [كان الأمير الحكم بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين وأخوه عبد الله هــذا] يتباريان في طلب العلم ويتناغيان في جمعه ويتبادران إلى اصطلاح أهله واختصاص رجاله وأدنا منازلهم والاحسان إليهم . (١)

ولما شب الحكم المستنصر عهد إليه أبوه بحب الجانب الثقافي والتعليمي في سلطته ، فحرص على معرفة العلماء عالماء عالما ومعرفة أخبارهم وسيرهم ومولفاتهم وتخصصاتهم حتى اجتمع له في ذلك المجال ما لم يجتمع لأحد من قبله ، ولقد مر بنا في الفصل الأول اسناد أبيه له مهمة ترتيب المجلس والشعراء الفصحاء لاستقبال وفد رسل امبراطور الروم ، فكان أباه قد أعد لتلك المواقف لما وجد فيه من ميل إلى

(١) ابن الأبار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

ذلك المجال وحب لاهله ومعرفته وثيقه بهم . وهكذا أصبح الحكم وهو
 ليس للمعهد راعيا للعلم وحاميا للعلماء ومشجعا على النهضة التعليمية
 في البلاد ، فضلا عن انه هو نفسه كان من كبار العلماء في ذلك
 العصر . ولو تتبعنا ما كتب عنه في المشرق والمغرب قد يعا وجدنا في
 تاريخ الادب والفلسفة والعلوم لوجدنا الكثير برغم المدة القصيرة في عصر
 الزمن التي عاشها وهو خليفة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) (١) .

ولكن ينبغي علينا قبل ان نلقى الضوء على اهتمامات الحكم المستنصر
 بالعلم وأهله ان نشير الى المجتمع الذي نشأ فيه ذلك الأمير ، فيقول
 الدكتور مصطفى الشكعة [اذا نظرنا الى المجتمع الاندلسي من
 ناحية جمهورته وليست من ناحية قطاعات معينه منه وجدنا له مميزات
 باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثير من المجتمعات الإسلامية الأخرى ما بين
 علم وبين وثافة وعمل ونظافة واناقة وحب للعدل وانكار للفوضى واجلال
 للعلماء الى غير ذلك من الصفات الحميدة التي توفرت في شعب من
 الشعوب وضعت في مرتبة سامية دفعت به الى مدارج التقدم والازدهار .
 لقد كان شعب الاندلس يقبل على العلم للعلم ذاته وكان علماءهم
 متقنين لغتهم علمهم لا نهم سعوا اليه مختارين ، وكان الرجل ينفق
 كل ما عنده حتى يتعلم واذا تعلم أصبح في مقام التكرم ويعلو قدره
 بين الخاصة والعامة .] (٢)

(١) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ٢٠١ .

(٢) مصطفى الشكعة : الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، بيروت ، ١٩٧٥ م ،

الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، ص ٧١ .

ولقد حرص امراء الاندلس على أن يكونوا على مستوى عالٍ من الثقافة الدينية تسمح لهم بمجالسة الفقهاء الذين يعتبرونهم زينة المجالس عند الامراء ومستشاريهم . وكانت ثقافة هؤلاء الملوك والامراء تدفع الى احترام العلماء وتقديرهم ، فقد حرص الامراء على أن يجمعوا بين السلطة والمنصب العلمي أي بين مرتبة الحاكم القوي وبين مرتبة العالم العظيم . وكان يتحتم على الامراء أن يتفقهوا في علوم الدين حتى يجمعوا بين الاحترام الرسمي لكونهم امراء وبين الكبار الاجتماعى الذى يكسبونه باعتبارهم فقهاء . (١)

وكانت دولة الاسلام في الاندلس سعيدة بكثرة حكامها الذين كانت لهم شاركه في العلوم والفنون ، والذين كان تقديرهم للعلماء مساندرا عن طبع ومصرفه بتعمق وليس عن نفاق أو مصلح نفعه أو رياء .

وقبل ان نلقى الضوء على مدى اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ورجاله ينبغي ان نشير الى شيوخه وعلميه ومعلميه الذين تلقى العلم على ايديهم ، فعلى رأس هؤلاء قاسم بن اصبح ، واحمد بن الحسين ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم (٢) ، وابو علي القالى الذى عرفنا ما تقدم كيف استدعاه عبد الرحمن الناصر الى الاندلس لما رأى من علمه الواسع ، فعهد اليه بانه الحكم المستنصر لتعليمه ، فاخص به وأفاده افادة عظيمة ، وقوى عنده حب العلم حتى رغبه في اقتناء الكتب ،

(١) مصطفى الشكعة : نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ، ص ٣٧١ .

فتقف عقله بالعلوم والمعارف ويثقي نفسه حب العلم . وفي هذا الموضع يقول المقرئ : [ولما وفد على أبيه أبو علي صاحب كتاب (الأمل في) من بغداد أكرم مشواه ، وحسنت منزلته عنده ، وأورث أهل الاندلس علمه ، واغتنى بالحكم المستنصر ، واستفاد علمه] (١) . وكان الحكم المستنصر قبل خلافته يحثه على التأليف ، وينشطه بواسع العلم ، ويشرح صدره بالافراط في التكريم .

ومن تلقى العلم على أيديهم أيضا وهو ولي للعهد عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمه بن عباد بن يونس القيسي المصفاي المومل من أهل قرطبة ، وهو والد جعفر بن عثمان (٢) . ومنهم هشام ابن الوليد بن محمد بن عبد الجبار بن هشام الفافقي ، وكان مرونيها نحويًا أدب أمير المؤمنين الناصر ثم أدب ولي العهد الحكم المستنصر ، وكان علم العروض أغلب عليه من علم اللغة العربية (٣) . ومنهم محمد بن اسماعيل النحوي المعروف بالحكيم من أهل قرطبة ، وكان عالما بالنحو والحساب دقيق النظر مشيرا للمعاني مولدا لها لا يتقدمه في ذلك أحد ، وعمر ثمانين عاما وأدب الحكم المستنصر ، وتوفي سنة ٣٣١ هـ (٤) . ومنهم علي بن معاذ الرعيثي وقد كان لغويا فاستفاد منه الحكم واقتبس من علمه ،

(١) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ طما الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٥٢ .

والى جانب تفوقه فى اللغة كان متفوقا فى التاريخ والانساب وقد استفاد منه الحكم واخذ عنه الكثير من العلوم والمعارف فمما تمت استفادته منه (١) . ومنهم ايضا الانبىب محمد بن اسماعيل القزاحى الذى تلقى العلم على يديه كالأدب والنحو والحساب ، وقد استفاد منه فى دراسة العلوم بأرقى أسس تحليليه عميقة ان وصف هذا الانبىب بعمق التفكير ، ودقة التعبير نفسى استفاله بالعلم (٢) .

وكان لهؤلاء المعلمين والمؤرخين والمشايع أثر كبير فى بلورة شخصية الحكم المستنصر العلمية وتوجيهه فى كافة مجالات العلم والمعرفة .

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، ص ٤١٠ .
 (٢) سعد البشرى ، المرجع السابق ، ص ٧٢ (نقلا عن المفدى : الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

بـ شخصية الحكم المستنصر العلمية :

يعتبر الحكم المستنصر في معرفة الرجال والتواريخ والانساب احوذاً (١) نسج وحده ، كما كان موصوفاً بالثقة بين رجال العلم حتى ان ابن الابار يتعجب اشد العجب من تغافل ابن الفرضي وابن بشكوال في كتابتهم عن تراجم العلماء من أهل الاندلس عن الاشارة الى منزلته ومكانته العلمية . فقلما كان يوجد كتاب في غزائمه الا وله فيه قراءة أو وجهة نظر فسي أي فن أو علم كان ، فيكتب نسب المؤلف معرفاً اياه ذاكراً مولده ووفاته ، ويأتى بمعلومات نادرة لا يكاد يعرفها احد غيره (٢) . فالحكم المستنصر يتبع طريقة التحليل ونقد المعلومات وتحييها أشاء اطلاع على كتبه بحيث كان يقرأ الكتاب ويكتب فيه بخطه اما في اوله أو تشاعفه بكامل ما بهت به له للمؤلف مع التعريف به ، وذكر انساب الرواة له (٣) . ومما يؤكد ذلك انه في أشاء جمعه لتلك الكتب الهائلة ودراستها انعكس أثر ذلك على فكره وطريقته حتى أصبح عالماً بارعاً في فنون العلم المختلفة حتى قيل عنه في شعفه بالكتب [وكان ذا غرام بهـ] أي الكتب . وقد أثر ذلك على لذات الطوبى فاستوسع طمعه ودق نشره وجمعت استفادته . (٤)

ومما روى له من كتابات وتحاليل على الكتب التي طالعها ما ذكره القاضي جاعد الاندلس في ترجمته للمؤرخ اليماني الحسين بن احمد

(١) الأحوذى : الحاذق السريع في كل ما اخذ فيه .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٧١ .

(٣) ابن الابار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

البهذاني مانعه :] ووجدت بخط امير الاندلس الحكم بن عبد الرحمن
الناصر لدين الله ان ابا محمد البهذاني توفي بسجن صنعاء في سنة
أربع وثلاثين وثلاثمائة [(١) . ومن دلالة طه الغزير أنه صنف كتابا في
انساب الطالبين والملوك القاديين الى المغرب ، وقد استعان في تأليفه
بما كان يتلقفه من أقواء الملوك القاديين عليه سوا في مدة ولايته
للعهد أو حكمه . فلقد عرف عنه شغفه بعلم الانساب يدل على ذلك
ما رواه ابن الأثير عن مدى اهتمامه بأنساب المؤلفين (٢) .

وهكذا يتضح لنا ما كان عليه من معرفة تامة في العلوم ، ودراسة
واسعة بكل فن من فنون المعرفة الشاملة ، بالإضافة الى ما امتاز به من
الثقة بين رجال العلم حتى أصبح أمينا فيما يقوله ، فقد صار كل ما
كتبه أو أدلى برأيه أو وجهة نظره فيه على انه حجة ، لها مكانتها
وقوتها ووزنها بين أقوال العلماء (٣) .

وقد عقد بعض الكتاب المحدثين مقارنة بين الخليفتين الحكم المستنصر
والمأسون ، فوصفوا الأول بأنه عمل على تسهيل الطرق وتعبيد ها للنهضة
العلمية بحشد السواد اللازمة لها . وأنه يفتقر عن المأسون في ان حركة
المأسون العلمية كانت حركة ترجمه ونسخ ، أما حركة الحكم المستنصر فكانت
جمع وحشد وتكديس للكتب .

(١) سعد البشري : الحياة العلمية ، ص ٧٤ (نقلا عن صاعد الاندلسي :
طبقات الامم ، ص ٢٩) .

(٢) سعد البشري : المرجع السابق ، ص ٧٤ (نقلا عن القري : نفح الطيب ،
ج ٣ ، ص ٦٠ - البغدادي : هديه العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣٣) .

(٣) كمال المازجي وانطوان غطاس : اعلام الفلسفة العربية ، بيروت ، مكتبة
انطوان ولبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ م ، ص ٦٤٣ .

غير أننا لو رجعنا قليلا إلى ما ذكره المؤرخون ، وما أشاد به
العلماء في حق الحكم المستنصر لأفغينا الوضع مخالفا تماما لما وصفه
به ذلك المؤلف ، لأن الحكم المستنصر كان حريصا على تركيز جهوده
للاستفادة من كتب العلم ، وعلى أن تكون ميسورة النال لجميع أفراد
الرعية لكي تعم الفائدة للجميع لاستخدامها والاستفادة منها . بل أننا
نلمح ونرى مدى حرصه على إثبات شخصيته العلمية وشغفه بالاطلاع فيما
قام به من عرض للأفكار وتعليق على المواد العلمية في بيان الكتب ،
وهذا ما أشار إليه المؤرخون وأشادوا به . فالمسألة لم تكن قضية جمع
وحشد فقط ، بل كانت عليه أحياء للعلوم وترغيب للناس في طلب العلم
ودفعهم للاستزادة منه والالحاق بركب الحضارة والتأور العلمى السدى
سبق إليه أهل المشرق . وكان لا اهتمامه الشديد بالعلم والمعرفة
أن اتهمه بعض الكتاب كستانلى لين بول بالقول بأن انصرافه إلى العلم
واهتمامه بالكتب وعنايته بها قد أدى إلى عدم تطلعه إلى الفزى والجهاد .
ولكى نرد في دفع هذه التهمة الباطلة والمجانبة للمصواب نقول إن
لو أمعنا النظر في سيرة الحكم المستنصر وأعلانه للجهاد مع أعداء
دولته سواء كانوا من الأسباب النمارة ، أو النورمان ، أم الفاطميين
- ونستطيع أن نلاحظ ذلك مفصلا في الفصل الثانى من بحثنا - لا نرى
أن الحكم المستنصر كان بجانب حرصه على العلم وعلى توفير أجساد
العلم المناسبة لطلبة العلم كان مجاهدا ورجل سياسة وحرب من الدرجة
الأولى ، ولكن يعتبر عصره بالمقارنة بعصر أبيه عبد الرحمن الناصر يعتبر

عصر سلام نسجى مع مالِك النصارى ، وذلك بعد جهود أبيه وعقده
معاهدات السلام والصلح مع الممالك الأسبانية النصرانية (١) .

ولكى تتضح لنا صورة الحياة العلمية فى الاندلس أكثر فأكثر ففى
عهد الحكم المستنصر علينا ان نبرز جهود العظماء فى دفع عجلة
النهضة العلمية الى الامام .

(١) معبد البشرى : الحياة العلمية ، ص ٧٥ .

جـ - جهود العلمة والتعليمية :-

احترامه للعلماء :

احترام الحكم المستنصر للعلماء ، وتقديره لمكانتهم جعلهم يحرسون على الاهتمام بدروسهم ويتلايذهم ، كما رفع ذلك من قدرهم عند الناس وحسن طلبتهم . ولقد وصل بعض هؤلاء الفقهاء والمتعلمين الى درجة عالية من المهابة والتقدير حتى انه كان عندما يطلب احد هم لا يرد له طلب ، وتقضى له كل حاجاته دون تردد أو تفكير . ونسوق القصة التي حفظها لنا المقرئ عن الفقيه ابراهيم ابن اسحاق ، وكان معظما عند عبدالرحمن الناصر وابنه ، والقصة طويلة وتتلخص في ان الحكم أمر أحد خصيانه باستدعاء أبو ابراهيم هذا لاجل حاجة يريد ها ، فذهب الخصي اليه يطلبه في عجله من أمره لتلبية نداء أمير المؤمنين ، ولكن الفقيه قال له : سمعا وطاعة ، ولكن دون عجلة ارجع الى أمير المؤمنين ، واخبره انك وجدتني في بيت من بيوت الله مع طلبة العلم يسمعون مني ، ويستفيدون من أحاديثي ، وعندما ينتهي مجلسه سيحضر اليه . ولكن الخصي تضجر وتجرم لرفضه طلب أمير المؤمنين ، ونقل ذلك الى الخليفة فلم يتضجر بل استحسّن رده ، وقال له على لسان الخصي [جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين ، واعتهم بك حتى ينقض شغلك وتغضى معي] . ولكن أبا ابراهيم كان لكبر سنه وضعف جسمه لا يستطيع أن يدخل من الباب الرئيسي بالقصر ، وهو باب السدة فهو بعيد عنه ، فحدد باب الصنعة للدخول منه (١) وكان بابا مغلقا لا يستعمل ، وأمر الخصي بالاستئذان له من أمير المؤمنين ، لأن ذلك

(١) سمي بباب الصنعة لمجاورة لدار الصنعة . (السيد عبدالعزیز سالم : قرطبه

امسك عليه فوافق الخليفة ، وأمر بفتح باب الصنعة وانتظاره حتى ينهى
درسه ، ولما انقضى درسه توجه الى داره فأصلح من شأنه ثم توجه الى
الخليفة ، فوصل اليه من الباب المحدد ، وقضى حاجة ثم رجع من نفس
الباب ، وعند خروجه أعيد اغلاقه مرة أخرى من قبل الخدم والاعوان الذين
كانوا متأخرين خروجه حتى يثقل ويمسك كما كان . فمكثا قضى الخليفة
حاجة العالم كما ارادها وهكذا كان العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء
احترام وتبجيل (١) .

زيارة الفقهاء في مجالسهم :

لقد حرص الحكم المستنصر على زيارة الفقهاء وتفقد أحوالهم والاطلاع
على مستوى التعليم ومدى سير الدراسة ومدى الاستفادة منها . فلقد
قام بزيارة ابي الحسن علي بن محمد الانطاكي في مجلسه وفي حلقاته ،
ولقد عين الانطاكي بعض طلبته المتفوقين لقراءة القرآن في ذلك اليوم
أي في يوم قدوم المستنصر ، وكان من « ولا » التلاميذ خلف بن حسين بن
مروان والد المؤرخ الكبير ابن حبان الذي تخبرنا المصنف بأنه قد قرأ
القرآن على يد الانطاكي امام الحكم المستنصر ، وهذا الموقف يوضح لنا
مدى حرصه على سير الدراسة وتفقد لها بنفسه . (٢)

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ٦ .

استقدام العلماء الأندلسيين الى قرطابه :

كما استقدم المستنصر العلماء من كافة نواحي الاندلس الى مدينة قرطابه ، وسمح لهم بالتعليم واللقاء دروسهم في المساجد العامة بقرطابه .
وتد لنا كتب التراجم ان المستنصر كان يختار أفضل العلماء ومن تتوفّر لديهم نصوص ليست شائعة ومعروفة عند الناس . فعلى بن معاذ الرقيشي (ت سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) من أهل بجاية كان لغويها نسابا ، استقدمه ليستفيد من علمه وليستفيد منه ، فجميع له كتب ابن حبيب وروايته ، واستقر بمدينة قرطابه بحومة مسجد سلعة قرابة سنة كاملة لالقاء دروسه ثم عاد الى مدينته بجاية مرة أخرى . وفي تلك الاشارة الخاصة بتحديد مجلس هذا الفقيه (بحومة مسجد سلعة) ما يوحى لنا بوجود مساجد أخرى في قرطابه لها أهميتها وثقلها غير المسجد الجامع ، وبوجود أماكن خاصة بالاقامة ملحقة بالمسجد كان يقيم فيها هذا الفقيه لمدة عام الى أن عاد الى مدينته . ومن استقدمهم المستنصر أيضا محمد بن فرج بن سحون النخعي (ت عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) الذي قدم الى قرطابه ، فسمع منه الناس ، واستفادوا من علمه ، ثم عاد الى مدينته بجاية أيضا بعد انتقام مهنته حيث توفى فيها . ومنهم محمد بن مروان بن زريق وكسان من أهالي بلميس ، وقد كتب عنه المستنصر في مذكراته الخاصة ما يدل على أهمية ذلك العالم (١) ، وأيضا محمد بن حسن بن عبد الله بن مدحج الزبيدي من اشبيلية ، استقدمه المستنصر الى قرطابه فمال بها جاهها عظيم ورياسه ، وكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة حتى استأذنه

(١) محمد عيسى : نفس المراجع ، ص ٣ .

المستنصر لابنه هشام ، ثم قدمه الى القضاء والشرطة . وقد قرى عليه
بعض كتبه في اللغة وبعض ما ألفه لأنه كان اماما في اللغة (١) . ومنهم
محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرياضي من أهل
قرطبة . كان فقيها موثوقا اخذ عن كتاب سيدييه وقد اختصر به المستنصر
فسار الى خدمته في مقابلة الكتب (٢) .

استقدام العلماء المشارقة الى الاندلس وتكريمهم :

كان المستنصر شديد الاهتمام باستقدام العلماء المشارقة الى قرطبة
والترحيب واكرام مثواهم ورفع منازلهم عنده ، ومن هؤلاء الذين وصلوا الى
الاندلس والقرطبة بالذات على عهد اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي السدي
رحل من مصر الى الاندلس على الرحب والسعة والتكريم (٣) . وأيضا العلامة
المصري عبد الملك بن ادريس البجائي الذي رحل ثم عاد الى الاندلس
ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش . وما ان علم الخليفة
الحكم بذلك حتى بعث في طلبه فاطلع على ما عنده واستفاد منه وغيره
كثيرا (٤) .

انشاء المكاتب لتعليم الأولاد :

حرص المستنصر على انشاء مكاتب في مدينة قرطبة ليتعلم فيها أولاد

-
- (١) ابن الغرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٨٩ .
(٢) ابن الغرضي : المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٣) محمد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٤) المراكشي : الذيل والتكملة ، القسم الاول ، ص ١٣ .

الفقراء الضعفاء والمساكين بالمجان ، ثم جعل للمعلمين الذين يقومون بتدريسهم أوقافا من دخل حوانيت السرايين لكي يضمن لهم مرتبا ثابتا يتقاضونه لكي يضمنهم على الحياة وصعوبتها . ويعتبر هذا العمل وتلك الخطوة الرائدة من أفضل أعماله وأحسنها . وفي هذا الصدد يقول ابن عذاري [ومن مستحسّنات أعماله اتخاذ المؤهدين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع بكل رضى من أرباض قرطبه ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم بالاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم . وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة وياقبيها فى كل رضى من أرباض المدينة ، وفى ذلك يقول ابن شخبز :-

وساحه المسجد الأعلى مكللة

مكاتبها لليتامى من نواحيها

ولو مكنت سور القرآن من كلهم

نادتك يا غير تاليها وواعيها (١)

ويمكن اعتبار المستنصر بهذا العمل أول خليفة فى العالم سن التعليم المجانى ، وبهذه الطريقة أصبح شعب الاندلس متعنا بالعلم فقرأوا ، قبل أغنيائهم ، فأنعمت بذلك الأمة ، وأقبل الناس يتهافتون على تلقى العلوم ، وانتشر التعليم انتشارا عظيما ، وزاد الوعي الثقافى ، وتفتحت ثم نضجت

(١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٣٤٠ - ٣٤١ .

العقلية بذلك النور الذي منه الله به عليهم حتى أصبح هناك نوع من التنافس على حفظ كتب العلم ، ومن يحفظ فله جائزة قيمه ، فأقبل الناس يحفظون ويتعلمون بشغف كبير . ولم يقتصر التعليم على الرجال فقط بل كان تعليم النساء شائعا في الاندلس وأقبلت الكثيرات على التعليم ، وعلى حفظ الدواوين في الادب وعلى كتابة الشعر ، حتى ظهر نتيجة لتلك الحركة كثير من النساء العالمات الفاضلات ذوات المكانة المرموقة (١) وبلغ من حبهن للعلم انه كان في الربيع الفريسي حوالي مائة وسبعين امرأة يكسبن رزقهن من نسخ الكتب . ومن اشهر هؤلاء لبنى كاتبة الحكم المستنصر ، فقد كانت حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية وخطاطة ولها مشاركة في كثير من العلوم (٢) .

وبذلك انتشر التعليم انتشارا واسعا في بلاد الاندلس حتى ان معظم شبانها كان متعلما . وفي هذا الصدد يعلق احد مؤرخي الافرنج بقوله : [ان سكان اسبانيا الاسلامية الا قليلا كانوا يقرأون ويكتبون على حين كان اهل الطبقة العليا في أوروبا المسيحية أميين لا يقرأون ما عدا أفرادا قلائل من الشمامسة جعلوا الكتاب من شأنهم] (٣) .

اهتمام الحكم المستنصر بتأليف الكتب والحصول على النادر منها :

ارتفع المستنصر في مجال اهتمامه بالكتب الى درجة عالية جدا لم يدانه فيها أحد ، فقد تجلت مظاهر اهتمامه بها والحصول عليها بعدة

(١) عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ، ص ٦٦ -

شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٣٤ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثاني ، ص ٦٩٢ .

(٣) محمد كرد علي : ظهير الاندلس وحاضرها ، ص ٨٧ .

طُرق منها : تشجيع التأليف والاعتناء به والاثابة عليه واكرام العالمين واحترامهم وحشهم عليه سوا* كانوا في داخل الاندلس أو في خارجها . فمثلا وجه الحكم المستنصر الى أبي الفرج الاصبهاني الف دينار ، ليرسل له نسخة من كتاب الأغاني من قبل ان يحصل عليها احد في العسراق أو ينسخها احد منه ، فارسل له نسخة منقحة حسنة الخط ، فسر بها سرورا عظيما ، كما ارسل له أيضا كتابا آخر ألفه في انساب بني أمية ، يشيد فيه بأجدادهم وآثارهم وهممهم . فسر به ، وجدد له الصلة مسرة أخرى (١) .

كما فعل ذلك مع القاضي ابوبكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم (٢) . ومع محمد بن القاسم بن شعبان بصر ، ومحمد بن يوسف الوراق الذي قام بتصنيف كتاب ضخيم له في (سالك افريقيا ومالكها) ولقد ألف في اخبارها وملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمّة ، وكذلك في اخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماة وتكور والبصرة ، وغيرها من التوايف الحسان (٣) .

أما في داخل الاندلس فقد كان نشاط الحكم المستنصر في مجال التشجيع على التأليف كبيراً جداً ، وقد اتخذ في هذا السبيل عدة وسائل منها : الاعفاء من الفخز في مقابل تأليف كتاب ، وهاد ما حدث

-
- (١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبير ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - المراكشي ، المعجب ، ص ٦١ - ٦٢ .
 (٢) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ .
 (٣) الضبي : بغية المتوسم ، ص ١٤١ .

مع الفقيه عبد الله بن مغيث (ت عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) المعروف بابن الصغار
 ووالد القاضي يونس قاضي الجماعة بقرطبة ، والذي يرد ثنا فيقول : [لما
 اراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة تقدم الي
 والدي ليكون في صحبتته فاعتذر بضعف في جسمه ، فقال المستنصر لا حميد
 ابن نصر قل له : ان فمن لي ان يوافق في اشعار خلفائنا بالشرق
 والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس أغنيته من الغزو .
 فخرج احمد بن نصر اليه بذلك فقال : افعل ذلك لا مير المؤمنين ان شاء
 الله . فقال المستنصر : ان شاء ان يكون تأليفه في منزله فذلك وان شاء
 ان يكون في دار الملك المظلة على النهر فذلك له ، قال فسأل ان يكون
 ذلك في دار الملك ، وقال انا رجل مورود في منزلي وانفرادي في دار
 الملك لهذه الخدمة اقطع لكل شغل فاجيب الي ذلك وكمل الكتاب في
 مجلد صالح وخرج به احمد بن نصر الي الحكم المستنصر فلقبه بالمجلس
 بطليطلة فسر الحكم به (١)] .

ومن هذه الوسائل التشجيعية ايضا تقدم الجوائز الكبرى واسنان
 الوظائف المهمة الي العلماء الذين يعملون على التأليف مثلما حدث
 مع احمد بن عبد الملك الاشيلي (ت ٤٠١ هـ / ١٠١١ م) . فلقد كان
 احفظ لا قوال مالك واصحابه ، جمع للحكم امير المؤمنين كتابا حافلا
 سماه كتاب (الاستيعاب) ، وقد جمعه له مع ابي بكر محمد بن عبد الله

(١) الضبي : بغية الملتص ، ص ٣٢٣ - ابن خاقان - مطبع الانفس ،

القرشي ، ثم رفعه الى الحكم ، فوصلهما بجائزة كبيرة . ثم قد مهمما للشورى (١) .

وحدث هذا أيضا مع محمد بن ابي الحسين ، وكان عالما بالالفظة والأدب وكان اثيرا عند الحكم المستنصر ، وقد أمره بمقابلة كتاب (المين) للخليل مع ابي طي البغدادي (٢) . وأيضاً مع احمد بن سعيد بن مقدس من أهل البصرة ، وكان نحويا لغويا ضابطا للكتب ، ولقد نسخ للمستنصر بالله رحمه الله كثيرا (٣) . اما اسحاق بن سلمة بن وليد بن بدر بن اسهد بن مهلهل بن ثعلبة بن مودة ، فقد كان حافظا لاخبار اهل الاندلس ومعتنيا بها ، وجمع كتابا في اخبار الاندلس أمره بجمعه المستنصر بالله (٤) . ومحمد بن ابان بن سيد اللخمي من أهل قرطبة ، وكان عالما بالعربية واللغة حافظا للأخبار والانساب والايام والشاهد والتواريخ ، وكان مكنيا عند الحكم المستنصر ، وألف الكتب وكتب عنه ، واكرمه وقربه منه (٥) .

هكذا كان الحكم المستنصر أكثر الخلفاء الاندلسيين تسامحا وحرية فكر حتى قال عنه دوزي : [لم يحكم اسبانيا يوما من الأيام حاكم طمس هذا الدرجة من العلم . نعم ان كل من جاءوا قبله من امراء الاندلس وخلفائها كانوا رجالا ذوي علم وولع بجمع الكتب ، ولكن احدا منهم لم

(١) الضبي : بغية الطمس ، ص ٧١ .

(٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٦٧ .

(٤) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٦٧ .

يطلب الكتب القيمة والنادرة بهذه المهمة (١) .

تهيئة الجو العلمي للعلماء :

ونظرا لما كان عليه الحكم المستنصر من حب للعلم ورغبة منه في تشجيع العلماء على التأليف فقد حرص على اعداد المراجع العلمية لهم وعلى اعداد المكان المناسب لتأليفهم ، بل كان حريصا أيضا على متابعتهم في عملهم وتشجيعهم وتوفير كل ما كانوا يحتاجونه . ولم يكتف في هذا الصدور بالمساعدات والهدايا المادية فحسب بل ساعد من الناحية العلمية في اعدادهم بما يحتاجون من مصادر وبحوث قيمة ، فقد ارسل الى الكاتب المصري ابن سعيد عبد الرحمن بن يونس صاحب كتاب (تاريخ مصر والمغرب) كتابا استعان به هذا المؤرخ في تصنيف كتابه فيما يخص الاندلس ، وكذلك أمر المستنصر محمد بن الحسين وابنه سعيد ، وأما على القالى بمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد في دار الطك التي بقصر قرطبه ، واحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي المنذر بن سعيد (٢) ، فلقد حرصوا على استحضار كافة النسخ والحصول عليها وذلك لتحقيق النصوص تحقيقا سليما (٣) . وهكذا نلاحظ الجهود الكبيرة التي بذلها المستنصر في تفسير الأجواء المناسبة لدفع الحركة العلمية ورعايتها ، فهو بما طبع عليه من محبة للعلوم والآداب وبما اكتسبه في صغره من المعرفة والثقافة ، كل ذلك دفعه بشكل قوى الى العمل على ارساء قواعد النهضة العلمية في بلاد

(١) انجل جنثال بلنسيه : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ١٠ .

وتشجيع العلماء ورجالات الفكر والأدب واغداق الاموال والصلات عليهم .
ولم يقف عند هذا الحد بل سعى الى توفير اجواء العلم المناسبة من
استحضار الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة لكى يبنى صرحا عظيما حضاريا
شامخا وقف له التاريخ باجلال ، وأشاد به المؤرخون والعلماء بمسورة
لم يلقها غيره من خلفاء الاسلام .

د - انشا * مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة :

نتيجة لاهتمام الحكم المستنصر بالعلم وأهله ، تكونت لديه مكتبة ضخمة ، وذلك لأنه رغب في البحث عن كل كتاب أو مخطوطه يمكن أن تضيف جديداً إلى العلم وأهله ، فوجه مجموعة من رجاله إلى كل مكان للبحث والتنقيب والاستقصاء من جميع الكتب النادرة والقيمة ، وأمد همهم بالأموال الجمة لشراؤها ، أو كتابتها ، أو نقلها حتى جلب إلى الأندلس منها ما لم يوصف ، وحملت إليه من كل جهة . وفي ذلك يقول ابن الأبار :
 [كان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشغوفاً بالعلوم ، حريصاً على اقتناء دواوينها ، يبحث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبدل في أعلامها ودقاترها أنفس الأثمان ، ونفق ذلك لديه ، فحلت من كل جهة إليه ، والطك سوق ما نطق فيه جلب إليها ، حتى غصت به بيوتته وضائقته بها خزائنه] (١) . وكان له عملاء في بغداد والقاهرة والاسكندرية وبلاد الشام وبلاد فارس يتعاونون له الكتب العلمية والأدبية ويرسلونها له ، وفي ذلك يقول ابن الأبار أيضاً : [كان له وراثون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوالميف ، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها] (٢) .

ونتيجة لذلك اجتمع لديه من المؤلفات والمخطوطات والكتب القيمة ما يفاهى ما جمعت له طوك بنى العباس في الأزمنة الطويلة (إلا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستنصر) (٣) . وقد تنهياً له ذلك لفرط محبته

(١) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن الأبار : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٠٢ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

فكثرت تحريك الناس واقبالهم على القراءة والاستزادة من العلوم والمعارف ،
وتعلم مذاهب الأولين . ولقد بلغ اهتمام الحكم المستنصر بالكتسب
والحصول طيها درجة عالية جدا لم يدان فيها أحد . وقد عرفنا فنى
الجزء الماضى مدى حرصه على وصل العلماء وتهئية الأجواء المناسبة
لهم للتأليف وتشجيعه عليهم واعنائهم من كل مهمة بسببه وتهئية الكسب
والصادر لهم ، فنشأ عن ذلك مكتبة ضخمة حوت جميع أنواع المؤلفات
والمعارف فى كل اتجاه ، ونتيجة لضخامة المكتبة وكثرة كتبها ضاقت عنها
خزائنها فى ابها* القصر الملكى ، ولذلك قرر انشاء مكتبة كبيرة تتسع
لتلك الثروات الضخمة . وفى ذلك يقول المقرئ : [كان يستجلب المصنفات
من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها
خزائنها . (١)] وعند ما عزم على انشاء المكتبة استمر العمال فى نقلها
من خزائن ابها* القصر الملكى الى المكتبة الجديدة مدة ستة أشهر
لضخامتها وكثرة محتوياتها حتى انه قيل ان عدد الكتب قد بلغ أربعمائة
ألف مجلد (٢) .

وكانت مكتبة المستنصر مرتبة على أحدث الطرق العلمية المستخدمة فى
عصرنا هذا ، فقد كانت مقسمة الى فهارس وكل فهرس الى أوراق مكتوب عليها

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ١٠٢ - ابن خلدون : العبر ،
ج ٢ ، ص ١٤٦ .

أرقاماً معينة . وقبل ان عدد الفهارس قد بلغت أربعة وأربعين فهرساً
كل منها عشرون ورقة ، ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط (١) .

ولقد قسمت المكتبة الى عدة أقسام ، فجزء منها للكتب ، وجزء للادراج
والفهارس ، وجزء للنساخين والمجلدين ، وجزء للمراجعين للكتب الستى
تدخل المكتبة أى الكتب الجديدة المستقادمة من كل مكان ، لأن الحكم
المستنصر حرص على ان يجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى
الخط والمجلدين فى التجليد (٢) . اما المشرف على تلك المكتبة الضخمة
فقد كان أخو الحكم المستنصر ، ويدعى عبدالعزيز بن عبد الرحمن الناصر .
وحيث المكتبة من الدرر الثمينة والذخائر الشىء الكثير ، فقد احتوت على
الكتب التى جمعها الامير عبد الرحمن الاوسط ، والذخائر والتحف الستى
جمعها عبد الرحمن الناصر ، بالإضافة الى ما جمعه هو نفسه من شرواح
طبية نفيسة (٣) .

ولقد اختلف فى تقدير محتوياتها ، فقدرها بعضهم بأربعمائة ألف
مجلد ، وقدرها بعضهم الآخر بستمائة ألف مجلد . ولم تكن الاندلس
مقتصره على تلك المكتبة الضخمة فقط ، بل كانت توجد فى قواعد الاندلس

-
- (١) ابن الأبار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ابن حزم : جمهرة انساب
العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، الطبعة
الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ص ٩٢ - المقري : نفح الطيب ، ج ١ ،
ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .
(٢) المقري : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ،
ص ١٤٦ .
(٣) عبد الكريم التوانى : مأساه انهيار الوجود العربى بالاندلس ، ص ٦٥٩ .

الآخري سيعمون مكتبه زاخرو بالكُتب النفيسة القيمة ، وهذا يدل على مدى التقدم العلمى العظيم الذى وصلت اليه الاندلس فى تشجيع الحركة الفكرية والعلمية فى البلاد (١) .

ولم يقتصر الشغف والاقبال على جمع الكتب واقتنائها على الخليفة المستنصر فحسب بل اعتنى الكثير من كبراء عصره وطوائفه بانشاء مكتبات خاصة حوت الكثير من الكتب القيمة ذات النفع العظيم . وحتى النساء المثقات اشتغلن بجمع الكتب وانشاء المكتبات ، ومن أشهرهن عائشة بنت أحمد بن قادم ، وكانت من أبرع النساء فى الأدب والشعر ، وكانت مكتبتها من أغنى المكتبات الخاصة بما حوته من ذخائر وتحف . ولم يقتصر هذا الاهتمام على أبناء المسلمين فحسب ، بل تعداه الى سائر الاجناس والديانات من يهود ونصارى ، فلقد برع أفراد الطائفتين باجادة اللغة العربية ، وبالتالى استطاعوا تذوق ثمارها بما أتيح لهم من فرص . ومن أشهر هؤلاء الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر ، ففى ظله وتحت رعايته وتشجيعه كتب اليهود فى قرطبة باللغة العربية وألفوا الكتب عنها (٢) . ولقد اشتهر أهل قرطبة بتقديرهم للكتب وشغفهم باقتنائها حتى أصبح ذلك عندهم دلالة على الوجاهة والرفاسة ، وحتى أن بعضهم كان لا يعرف قيمة الكتاب وما دتسه

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام ، الجزء الاول ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .

(٢) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .
- ليقر بروفنسال : حضارة العرب ، ترجمة دوقان قرقوط ، ص ٦٤ .

ولكنه كان يحرم على شرائه لكى يزين به مكتبه ويسد به نقصا فى المكتبه ،
أو ليقال ان فلانا عنده الكتاب الفلانى من دون الناس (١) .

ويقص علينا المقرئ قصة رواها عن احد رواد سوق الكتب فى قرطبه
ويدهى الرجل بالحضرمى ، فيقول : [أقمن سره بقرطبه ولا زمت سوق كتبها
مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء ، الى أن وقع وهو بخط
فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد فى شغفه
فيرجع الى الضادى بالزيادة على الى أن بلغ فوق حده ، فقلت لى :
يا هذا أرتنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى . قال :
فأرانى شخصا طيبه لباس رياسه ، فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا
الفقيه ان كان لك غرض من هذا تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق
حده . قال : فقال لى : لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ولكنى أقمت خزانة
كتب واحتفلت بها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، ويقى فيها موضع يسع
هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما
أزيد فيه . والحمد لله طى ما أنعم به من الرزق فهو كثير . قال
الحضرمى : فأخرجنى وحملنى طى ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا
الا عند ملك ، يعطى الجوز من لا له اسنان . وأنا الذى أعظم ما فى
هذا الكتاب ، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلبي
ما بيدى بينى وبينه [(٢)] .

(١) السيد عبد العزيز سالم : قوطيه حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١١ .

وهكذا أسهم الخليفة الحكم المستنصر في جعل سوق الأدب والمعلم في الاندلس من أكثر الاسواق رواجاً ، فأثمة العلماء والطلاب من جميع البقاع للشراء وللاستزاد في معلوماتهم وللدراسته ، وأثمة العلماء للشراء المزيّد من الكتب ولبيع مؤلفاتهم بأثمان مغرية . وكان لتشجيع المستنصر واهتمامه بالكتب ان فتحت الأبواب لجميع العلماء للتأليف وللإثابة عليهم حتى قيل عن الحكم انه لم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والتشجيع عليها ، وایصال صلاته الى العلماء حتى في الاصلار والمناحق الخارجة عن الاندلس كما فعل مع ابن الفرج الاصبهاني للحصول على مؤلفه الاغانى قبل ان يحصل عليه احد (١) . ولقد اعتبر الحكم المستنصر في حبه وشغفه بالمعلم بعد عهد ابيه عبد الرحمن الناصر كالأئمة العباسی بعد عهد هارون الرشید . فقد كان يحضر زاحراً في الأدب والتاريخ والمسا كبريا بالمعلوم الدنيوية شجعاً على دراستها وموئداً فيها للرأى الحر والتفكير المنطقى السليم . وقد جاءت بعد حركة جمع الكتب حركة تنسيق وتبويب ونسخ وتعليم شارك فيها جميع أفراد الشعب وعلى رأسهم المستنصر الذى حرص على كل كتاب يقرأه ان يدون ملاحظاته ورأيه فيه . (٢)

وكان المستنصر يقضى جزءاً من وقته بين ابها وأروقه مكتبة القصر ، يطالع فيها ويقرأ ويبحث ويعلق ، وكان من أعظم اصفياه في هذه القرآت الشخصيه المفیده محمد بن يوسف الحجارى ، والفتى ساهور الفارسى (٣) .

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) طلى محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٦٨ .

(٣) عبد الكريم التوانى : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ .

هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الى جامعة علمية :

يعتبر مسجد قرطبه الجامع من أعظم وأعظم الاعمال المماريه التي قام بها المسلمون في الشرق والغرب . ويعد محرابه من أروع محاريب الجوامع الاثرية الباقية حتى وقتنا الحاضر ، وهذا انما يدل على ان المسلمين كانوا من أعظم مهندسي الدنيا حتى مطلع العصور الحديثه ، وعجوبة هذا المسجد وميزته وجماله متركزه في الزياده التي اضافها الحكم المستنصر في عهده الزاهر ، والتي استطاع فيها أن يؤلف بين الوضع القديم والجديد بصورة فنية حفظت للبناء جدته وتكامله وجماله (١) .

ويروى لنا هذا الجامع في تطوره قصة البيت الأموي الذي أسسه عبد الرحمن الداخل والتي وصلت بعده الخلافة الأمويه الى أوجها وعظمتها في أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وكذلك وصل الجامع الى أوجه وعظمتها في أيامها (٢) .

ولقد حرص حكام البيت الأموي ان يضيفوا الى هذا المسجد قدر ما استطاعوا فكان كل منهم يجتهد في الاضافة اليه ووضع اسمه فيه (٣) .

ويقع المسجد الجامع بقرطبه على امتداد الواجهه الشرقيه للقصر الخلافي ، والوشمال قنطره قرطبه (٤) .

-
- (١) حسين مؤنس : رحلة الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .
 - (٢) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ، ص ٧٩ .
 - (٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
 - (٤) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

ويصفه الحميرى بقوله : [من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، واحكام
صنعه ، وجمال هيئته ، واتقان بنيه ، تهتم به الخلفاء المروانيون ، فزادوا
فيه زيادة بعد زيادة ، وتتمها اثر تميم ، حتى بلغ الغاية في الاتقان
فصار يحار فيه الطرق ويعجز عن حسنه الوصف] (١) .

ويعد هذا المسجد مفخرة من مفاخر قرطبه حيث يقول فيه ابو محمد
ابن عاتيه :

بأربع فاقت الامصار قرطبه	منهن قطرة الوادى وجامعها
هاتان ثتان والزهره ثالثه	والعلم أكبر شىء وهو رابعها (٢)

وكان هذا المسجد موضع تعظيم واجلال وتكريم من قبل أهل الاندلس
جميعا لأن التابعين - رضوان الله عليهم - مثل حنشى المنعاني وغيره
قد تولوا تأسيسه والشاركة في بنائه ، ولذلك أطلق عليه الجامع الأعظم ،
والجامع المبارك ، والجامع المكرم . وبلغ من احترام أهل الاندلس
وتعظيمهم له انهم اهتموا به وطوروه ، ولم يحاولوا ان يشيدوا غيره ، رغم
ما كان لهم من أبهة الخلافة وظامة الملك وكثرة الاموال . ولكن حرصا
منهم على التقاليد ، والتمسك بمناهج أجدادهم الأولى (٣) .

ولم تقتصر وظيفة جامع قرطبه على اعباءه مركزا دينيا ومسجدا بسل

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٥٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

كان يتخذ لبعض المهام الكبرى في الدولة مثل بيعة الأمراء والخليفة الجديد ، وكانت تعلن من فوق منبره العظيم الامور الهامة في الدولة ، وتقرأ الأوامر الخلافية لسمعها الجميع ، وفيه يعقد مجلس قاضي القضاة .
 وفضلا عن ذلك كله كان مركزا لجامعة قرطبة الشهيرة التي نمت وازدهرت في فترة الخلافة الزاهية ، فقد كانت تنظم بين أروقته حلقات الدراسة من كل فرع ولون ، والتي جعلت من قرطبة أعظم مركز للدراسات العلمية على اختلاف مجالاتها (١) .

ولقد افتتح الحكم المستنصر خلافته بالنظر في زيادة المسجد الجامع بقرطبة وهو أول عمل حرص على تنفيذه عند ولايته للحكم . وقد قلند هذا الامر لحاجبه وسيف دولته جعفر المصحفي ، وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، وهو ثاني أيام حكمه السعيد (٢) .

وكان سبب تلك الزيادة ان عند السكان في مدينة قرطبة عند ازداد زيادة كبيرة في عصر عبد الرحمن الناصر ، حتى غرق بهم المسجد ولم يعد يتسع لجموع المصلين في أيام الجمع والاعياد ، ما دعا الحكم المستنصر الى التفكير في الزيادة فيه وتوسعته حتى تتسع جنباته لتلك الجموع الهائلة من الناس . فقرر الخروج بنفسه لتقدير تلك الزيادة ، ثم دراسته

(١) محمد عبد الله خان : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٩ م ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ص ٢٢ .
 (٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

التخطيطات اللازمة للبناء وتفصيل وحدة البناء ، ثم أمر بعد ذلك باحضار المختصين من مهندسين ، وبنائين ، وعرفاء ، وفعالين ، والآلات والمساكن اللازمة للبناء ، وكل احتياجات المسجد سواء من رجال أو مواد بناء ، وبعد ذلك أمر باحضار الاحجار اللازمة للبناء من جبل قرطبة .

وقد حددت الزيادة المطلوبة فكانت محددة من قبلة المسجد التي نهاية القضاة القبلية ، واعتدت الزيادة نحو الجنوب فمدت صفوف من الاقواس القديمة جنوبا سافة ٩٥ ذراعا أي ٤٦ مترا . ولكن قبل أن يبدأ المهندسون أعمالهم للمسجد اعترض العلماء وأهل التعديل على البناء حسب الاتجاه القديم ، لأن القبلة القديمة كانت منحرفة الى ناحية المغرب ، فاضطر الحكم المستنصر توقيف العمل ثم استشار أهل الرأي والعلم فسي تحريفها ناحية الشرق ، ولكن الفقيه أبا ابراهيم - وكانت له مكانة خاصة عند الخليفة الحكم المستنصر - اعترض على ذلك قائلا : [يا أمير المؤمنين ، انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة وملحاه المسلمين وعلماهم منذ افتتح الاندلس الى هذا الوقت تأسيس بأول من نصبها من التابعين كعيسى بن نصير ، وحشى المتعاضدين ، وأمثالهم ، رحمهم الله تعالى ، وانما فضل من فضل بالاتباع وهلك من هلك بالابتداع . فأخذ الخليفة برأيه وقال : نعم ماقلت ، وانما مذهبنا بالاتباع .] (١) . وهكذا تم بناء قبة المحراب في جمادى الاخر سنة

(١) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الاول ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

سنة ٣٥٤ هـ . وفي نفس هذه السنة وصلت الفسيفساء* للمسجد الجامع للترتين به ، فزين به وجه المحراب ووجه العقدين في الشرق والغرب ، وزينت به أيضا القبة الوسطى التي تعلو المحراب (١) .

ويذكر ابن عذاري : ان الحكم المستنصر ارسل الى ملك الروم طالبا منه الفسيفساء* لتزيين المسجد مع العمال لتركيبتها كما فعل مع الوليد بن عبد الملك عندما تم بناء* مسجد دمشق ، فتم له ما أراد وارسل ملك الروم الفسيفساء* والصناعين المهرة ، فعملوا في المسجد مع رجال من الصناعيين في الاندلس الذين تعلموا الصنعة منهم فائقوها وتم التزيين في أحسن صورته (٢) .

وهكذا تم بناء* قبة المحراب وسجل على القاعد المشبكه لهذه القبة الكتابة التذكارية الآتية بدوءة بقوله تعالى [. . .] ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم هو الحق لا اله الا هو فادعوه مخلصين اليه الذين لله الحمد لله رب العالمين موفق الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة ومعينه على نيتته الخالدة في التوسع لرعيته . . . ما اليه واليه الرجعة فيما ابتدأ من فضله فيهم وصلّى الله على محمد وسلم . . . أمر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين وفقه الله مولاة وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٤٢ نقلا عن ابن

عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

بتشبيك هذه البنية ، فتم يعون الله بنظر محمد بن تليخ واحمد بن نصر
 وخالد بن هاشم اصحاب شرطته ومناظر بن عبد الرحمن الكاتب . . . [(١)] .
 ويعلو عقد المحراب نقش كوفى جميل فيه يظهر بوضوح امر الحكم المستنصر
 لحاجبه بعمل الفسيفساء فى البيت المكرم ، ولقد تم ذلك بالفعل فى عام
 ٣٥٤ هـ ، وفى نفس هذه السنة التى أقام فيها قبة المحراب ، وزينت الجدران
 بالفسيفساء تم عمل الشرع الى الساباط المتصل بالمقصورة عن طريق العقد
 المجاور للمحراب من اليمين ، والمخزن المتصل بالمقصورة عن طريق العقد
 الذى يلى عقد المحراب من اليسار (٢) .

وفى سنة ٣٥٤ هـ سجل ذلك فى نقش كتابى نصه [بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ
 الرَّحِيْمِ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِيتْنَا اَوْ اَخْلَاْنَا * رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
 عَلَيْنَا اِثْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا * رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا كَافَّةَ
 لَنَا بِهِ * وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا * اَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِيْنَ ﴿٢﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
 اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣﴾ . الملك لله على الهدى وصلى الله على محمد
 خاتم الانبياء ، امر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين
 وفقه الله مولا ، وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذا
 الشرع الى مصلاه ، فتم يعون الله ، بنظر محمد بن تليخ واحمد بن
 نصر وخالد بن هاشم ومناظر بن عبد الرحمن الكاتب . الحمد لله . [(٣)] .

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
 (٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

وفي عام ٣٥٥ هـ أمر الحكم المستنصر بوضع المنبر القديم الى جانب
 المحراب . وفي عام ٣٥٦ هـ أمر الحكم المستنصر بهدم الميضاة القديمة
 التي بناها الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل وبنى بدلا منها أربع
 ميضات في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها اثنتان
 كبيرى للرجال واثنان صغيرى للنساء ، وأجرى فيها الماء من سفح جبل
 قراية الى أن صبت ماءها في أحواض من الرخام لا ينقطع جريانها ليلا
 ونهارا وكانت مصنوعة من الداخل من الرصاص لكي تحفظه من كل دنس (١) .

ولقد تغنى الشعراء بتلك القنوات وفاضها التي كانت تمر بها المياه ،
 فهذا الشاعر محمد بن شخير يفتد قائلا :

وقد خَرَقَتْ بُلُحُونُ الْأَرْضِ عَنْ نُطْفِ
 مِنْ أَغْطِ الْمَاءِ نَحْوَ الْبَيْتِ تَجَرُّ بِهَا
 طَهَّرَ الْجَسُومَ إِذَا زَالَتْ طَهَارَتُهَا
 رَى الْقُلُوبَ إِذَا حَرَّتْ صَوَادِ بِهَا
 قَرَنْتَ فَخْرًا بِأَجْرِ قَلٍّ مَا اقْتَرَبَا
 فِي أُمِّهِ أَنْتَ رَاعِيهَا وَحَامِيهَا (٢)

وقد اختتم الحكم المستنصر أعماله الانشائية الخاصة بالمسجد الجامع
 بقراية ببناء دار للصدقة غربي المسجد الجامع لتوزيع الصدقات المتواليه
 وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الغربي (٣) .

-
- (١) المقرئ : نفع الطيب ، المجلد الاول ، ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ - ابن
 عذاري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .
 (٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .
 (٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

و - جامع قرطبة يتحول الى جامعة علمية في عهده :

بعد أن طعنا ما كان من توسعة الحكم المستنصر بجامع قرطبة ، ننتقل
لنرى كيف تحول الجامع الى تلك الجامعة العريقة . فنقول ان المسلمين
لم يتخذوا المسجد في فترة من الفترات للعبادة فحسب بل كان مركزا
دينيا وطميا في وقت واحد . ولما كانت قرطبة عاصمة الخلافة في الدولة
الاموية بالاندلس فقد نشطت فيها الحركة العلمية نشاطا بارزا حتى غدت
مركزا لاهل العلم والعلماء ، وصارت قاعدة للعلوم ومركزا للاداب ، وارتبط
اسمها الى حد كبير بالعلم ، بل أصبح العلم من ساداتها البارزة الواضحة ،
وضربت الأمثال بشهرتها العلمية وبقبال أهلها على مجالس العلم وتزورها
ببلاد الأندلس في ذلك المجال . ويتضح لنا ذلك من قول ابن رشد
لابن زهر في مجال تفضيل قرطبة على اشبيلية [ما ادرى ما تقول غير انسه
اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حطت الى قرطبة حتى تباع فيها ،
وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حطت الى أشبيلية . (١)] .

ولقد اجتذبت قرطبة فعول العلماء والادباء والشعراء ، فقدموها
من كل مكان ، وأصبحت بلاد الأندلس مرتعا غصبا لنشاطاتهم العلمية
وانتاجهم المشرعوصا حينما وجدوا الهيئة الصالحة لنشر كل طوبهم
وأفكارهم بالاضافة الى الترحيب بهم من قبل حكامها الذين حرصوا على
توفير الأمن والاستقرار ، وأمدوهم بكل ما يحتاجونه لتنمية مواهبهم

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ،
(نقلا عن المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٧) .

وقد راتهم ، ووفروا لهم كل السهل للانتاج والتأليف بصورة لم يعهدوها ،
فشاركوهم في ساجلاتهم الادبية وفي ندواتهم الشعرية ، ولقد حرص
الحكم المستنصر بنفسه على كل ذلك حتى استحق ان يطلق عليه لقب
الخليفة العالم (١) .

وكان من أبرز اهتماماته اهتمامه الكبير بجامع قرطبة ، فبفضل جهوده
ومثابرته تحول الجامع الى جامعة علمية بكل ما تعنيه هذه الكلمة ففى
عصرنا الحاضر ، وما ساعد على تحقيق هذا الهدف ما عرف عنه من
اهتمام بجمع الكتب الثمينة ذات القيمة العلمية ، وما انفق من أموال ففى
سبيل ذلك حتى تكونت لديه المكتبة الفخمة التى استفاد منها جميع
رعاياه .

وكان جامع قرطبة شأنه شأن بقية الجوامع فى الامصار الاسلامية
يقوم باداء رسالته العلمية فى المجتمع الاندلسى ، وكان طما السلسون
يقومون بتدريس العلوم الشرعية فى المقام الأول ، ولكن الحلقات فى جامع
قرطبة لم تقتصر على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية فحسب بل تعدتها
الى جميع العلوم الطبيعية من رياضة وفلك وكيمياء وطب وجغرافيا وتاريخ
وغیرها من العلوم (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة ، ج ٢ ، ص ١٦١ .
(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا الاسلامية ، ص ١ - ٢ ، عبد الحليم
منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ، دار
المعارف بصر ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ، ط ٤ ، ١٩٧١ م ،
ص ٥٤ - ٥٥ .

ونتيجة لتدريس جميع المواد العلمية تحول جاسع قرطبة الى جامعة
عظيمة لكثرة العلماء والاساتذة الذين يحاضرون فيه ، ولكثرة الحلقات
المعقودة في أروقتها للبحث والدراسة .

ولقد حرص الحكم المستنصر على امداد جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه
من امكانيات مادية وتنظيمات ، فقد عين أخاه الضدير بن عبد الرحمن
عميداً لها ، برعى أمورها ويدبر شؤونها ويتفقد أحوالها . ولم يكتف
الحكم المستنصر بالقائه العيني على أخيه الضدير بل كان يراقب بنفسه
تطور الامور وسيرها بالجامعة ، ويتتبع سير اخبارها ، وينهر على
امدادها بكل جديد ومفيد ، حتى بلغت تلك الجامعة في عهد شأوا
عظيماً ، وبلغت قرطبة مكانة عظيمة عظيمة فحق لها ان تسمى دار العلوم .
ولم تقتصر تلك الجامعة على الطلبة الاندلسيين فحسب ، بل تواجد اليها
الطلبة من جميع انحاء العالم الاسلامي والسيحي معا في جوارح
من التسامح والود (١) .

ولقد سبقت جامعة قرطبة في تأسيسها الجامع الأزهر في القاهرة ،
والمدرس النظامية في بغداد (٢) .

ومن اشهر من درس في جامعة قرطبة العالم الكبير أبو طي القاسي ،

-
- (١) محمد كرد طي : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٢٠٦ - عبد الكريم التواني :
المرجع السابق ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ - محمد الحسيني عبدالعزيز : الحياة
العلمية في الدولة الاسلاميه ، بيروت ، دار العلم للملايين ، وكالة المطبوعات
الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤١ .
(٢) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، الطبعة الاولى ، ١٩٤٩ م ، مطبعة
العالم العربي ، ص ٦٨٩ .

وابن القوطيه ، وابوبكر معاويه القرشى وغيرهم من فطاحل العلم والادب . اما
القالى فقد املى دروسه فى الادب ، وأما ابن القوطيه فكان امام اللغة
والتاريخ ، فقد املى كتبه وشروحه على طلبته وطال عمره فسمعه جيسل
بعد جيل . وكان أبوبكر معاويه القرشى استاذ العلوم الشرعيه وبخاصة
علم الحديث (١) .

وفى الحقيقة كان الجاسع مقر العلم والتعليم الذى يؤدى رسالته
فى تعليم الناس وفتح أبواب المعرفة لهم والرقى بحياتهم الدينية
والدنيوية . واتصف جامع قرطبة فى عصر الخلافة بالنشاط العلمى الكبير
الذى كان بمثابة مصدر إشعاع لاندلسيين وغيرهم الكثير ممن
دروا المعرفة التى قادتهم الى درجة رفيعه من الحضارة والتقدم (٢) .

وبهذه الطريقة وتلك الرعايه الفائقة اقبل الجميع من مختلف النحل
والطل الى قرطبه لتلقى العلوم ، ولقاء ائمة الحكم المستنصرين^{١٠} جميعا
فرص تلقى العلم فى قرطبة ، فلم يقتصر عطفه ورعايته على أهل العلم
وطلبته من المسلمين فقط ، بل تعداه الى جميع الفئات الاخرى . ومن
أبرز شواهد تلك الرعايه رعايته للعالم ريتشوندو الالبيرى المسى^{١١} ريتشوندو
ابن زيد عند العرب ، والذى كان اثرا لدى الحكم المستنصر لمكانته
العلمية وتبحره فى علوم الفلك والفلسفة وعلوم اللغات العربية واللاتينية ،

(١) عبد الحميد العبادى : المجلد فى تاريخ الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٤ ،

دار العلم ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٥ .

(٢) سعد البشرى : الحياة العلمية ، ص ١٤٦ .

فكان يرعاه ويعطف عليه ويقربه منه حتى استطاع ان يشغل مكانة كبيرة في القصر (١) . ولقد اشد كثير من العلماء الاوربيين والاسبان بجهود الحكم المستنصر العلمية وبرعايته للعلماء وبالحركة العلمية في عهدته التي لم يعرف العلماء لها نظيرا من قبل ولم تتسم بالتعصب قط . وفي هذا الصدد ينقل لنا محمد عبدالله عنان في موسوعته دولة الاسلام في الاندلس أقوال المستشرقين دوزي ومود يستو لا فونتي عن تسامح الحكم المستنصر فالستشرق دوزي يقول عنه : [ان افداق الحكم على العلماء الأسبان والارجانب لم يعرف حدا ، وقد كانوا يهرعون الى بلاطه ، وكان الطبيب ينسجهم ويوليهم رعايته ، حتى الفلاسفة استطاعوا في ظلهم ان ينصرفوا الى بحوثهم دون خوف] (٢) .

اما مود يستو لا فونتي فيقول عنه أيضا : [كانت دولة الحكم الثاني دولة الاداب والحضارة كما كانت دولة ابيه دولة العظمة والبهائم . وان الرواية العربية لتحبو الحكم بكثير من جميل الذكر ، فهل نقضى نحن عن تسجيل اعجابنا بما لهذا الاموي المستنصر من الصفات الباهرة لأنه كان مسلما ولم يكن نصرانيا . . . لقد قدم الأدلة على ان الرغبة في السلم لم تكن لأنه لا يعرف الحرب ولا النصر . ولكن لأنه كان يوثق الهام القرقي ويوثق الكتب على خزائن السلاح واكليل الجامعات الحقيقي على اكليل الحروب الدوى لقد تحول بلاط قرطبه الى نوع من

(١) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٥٧ .

(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم

الثاني ، ص ٥٠٨ .

الأكاديمية العظيمة ، واغدى على عشرات العبقريّة فيض الاغداق والكسـم
 الراضع ، ونستطيع ان نقدر مدى التضحيات العظيمة ومدى الصبر والمثابرة
 والنفقات التي أمكن أن يتحقق بها انشاء تلك المجموعة المدهشة من
 أربعائة الف الى ستائة الف مخطوط وهى محتويات مكتبة قصر بنى مروان . .
 ان هذا المستودع الزاخر من ثمرات العقل وتلك الحضارة التي وصل اليها
 العرب فى عصر الحكم كانت قد وضعت بذورها من قبل ، وتماقب أمراء
 بنى أمية منذ عصر عبد الرحمن الداخل فى تعهد ها بالفرس والنساء ،
 وقد كانوا جميعا من أهل العلم والادب ، ومن حباة العلوم والآداب . . .
 لقد جاء هذا الخليفة الشهير الذى يعشق الآداب فى عهد سعيد من
 السلم ، ولما كانت بذور التمدن موجودة من قبل فقد تفتحت فى ظل
 رعايته وازدهر الفرس ازدهارا عظيما حتى انه بعد الحرث الكثير والمطر
 الفزير بدت شمس وضاعة رائعة منعشة [(١)] .

ويقول عنه ايضا ليفى بروفنسال : [علينا ان نبرز فى المقام الأول ذلك
 الاسم الخالد الحكم الثانى طالما لا غبار عليه - راعيا مهيبا عظيما
 للآداب والعلوم مدبقا للفنون] (٢) .

أما غونثالط بالنسيا فيقول : [ان تسامح الحكم مع العلماء لم يكن
 له حدود ما دفعهم للالتفاف حول بلاطه ، ولقد قام بحمايتهم وتشجيعهم
 حتى الفلاسفة منهم ، أعطى العربى لكى يقوم الرياضيون والفلكيون بالتدريس
 علنا لتلاميذهم] (٣)

(١) محمد عبدالله خان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٨٠٠ .
 (٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا ، ص ١٠٠ . نقل عن (غونثالط
 بالنسيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٤١) .

(٣) الحياة العلمية في الاندلس في عهد الحكم المستنصر

كان عهد الحكم المستنصر في مجال الحياة العلمية في الاندلس - كما سبق ان ذكرت - امتدادا لما تحقق في عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، بل لا أغالى اذا قلت أن عهد الحكم المستنصر يمثل ذروة ما وصلت اليه النهضة العلمية في الاندلس في كافة عصورها . وسيرى القارىء - هذه الحقيقة ناصحة تتكلم عن نفسها من خلال التراجم التي سأعرضها فيما يلي لمن برز من علماء الاندلس في شتى مجالات العلوم الشرعية ، واللغوية ، والأدبية ، والانسانية والتجريبية .

أ - العلوم الشرعية

ففي مجال العلوم الشرعية برز في عهد الحكم المستنصر علماء كثيرون في القراءات والفقه والحديث . والى القارىء تراجم أبرز هؤلاء العلماء في كل فرع من هذه الفروع .

علم القراءات

كان علم القراءات من العلوم التي استحوذت على انتباه أهل الاندلس ، وخاصة اذا علمنا مدى العلاقة الوثيقة بينه وبين القرآن الكريم ، وبناؤه عليه فقد برز علماء أجلاء في مجال القراءات . ولقد اقتبسوا علومهم في هذا المجال بالذات من أهل المشرق الذين كانوا آنذاك في ذروة تطوّرهم العلمي ونشاطهم الفكري ، ومن العلماء البارزين في هذا المجال :

- علي بن محمد بن اسماعيل من بلدة انطاكية بالشام قدم الى الاندلس

سنة ٣٥٢ هـ فاستقبله المستنصر اجل استقبال واكرم وفادته ونزل مسكن الناس منزلة رفيعة ، وكان طالما بالقراءات رأسا فيها مقدما على أهل وقته في علومها ومعرفة سائلها ، ولقد برع في القراءات جميعا باختلاف صورها ، وادخل الى الاندلس طالما كثيرا من القراءات ، فقرأ الناس عليه وكتبوا عنه ، وقد توفي سنة ٣٧٧ هـ (١) .

- الفقيه محمد بن الحسين بن محمد المقرئ من أهل القيروان . درس هذا العلامة القرآن وعنى بقراءاته والتعرف على وجوه القراءات المختلفة ، فلقد جود القرآن وثبتت من قراءته ، وكان حسن الصوت ، رحل الى الاندلس وقد أخذ عنه العلماء وطلاب العلم ، وكان الناس يقرؤون عليه ويأخذون عنه ، توفي سنة ٣٦٨ هـ (٢) .

- حكم بن محمد بن هشام ويعتبر من أبرز القراء الذين كانت لهم معرفة تامة بالقراءات . قرأ القرآن بالقيروان ثم في مصر ثم قدم الى الاندلس حيث اكرمه المستنصر بالله وقربه اليه ، ثم عاد الى المغرب حيث اتحنه عبد الله الشيعي لقوله الحق ، فعاد الى الاندلس مرة أخرى ، فاکرمه المستنصر ايضا ورحب به . وقد كان يقرئ القرآن الى ان توفي رحمه الله سنة ٣٧٠ هـ (٣) .

-
- (١) ابن الغرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٣١٧ .
 - (٢) ابن الغرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .
 - (٣) ابن الغرضي : نفس المصدر ، القسم الاول ، ص ١٢١ .

الفقه

يعتبر الفقه من أهم العلوم التي نشط فيها الاندلسيون في مجال الدراسات الدينية ، وعملوا على نشرها وازدهارها والبحث في ساقطها ومناقشة ما جدد على المسلمين من أمور مستحدثة دعتهم اليها البحث والنظر في احكامها وموقف الشريعة منها . وكان علم الفقه من أول ما اشتغل به طما* الاندلس ان كان للفقيه عندهم مكانة ومنزلة لا يسمو اليها احد . وكان أهل الاندلس يهجون في فقههم مذهب الامام مالك بن انس صاحب دار الهجرة (١) .

ومن ابرز الفقهاء* في عصر الخليفة المستنصر :

عبد الله بن محمد بن قاسم التفرى ، وكانت له رحلات طميه الى الشرق وكان فقيها ودينا وورعا في طلب الحق لا يخاف أحدا في قول الحق والتصريح به ، وكان اصحابه يشبهونه بسفيان الثوري علامة الشرق وفقهها . سمع به المستنصر وبمعرفة الواسعة في الفقه قاستقد منه واستقفاه ثم رحل عن قرطبه وعاد اليها ، فاستقبله طلاب العلم وطما* الفقه بأحر استقبال واكرم ترحاب واخذ عنه الناس كتاب (معاني القرآن) للزجاج واستفاد منه العلماء* وأخذوا عنه طما غزيرا ومنهم ابن الغرضي الذي أجاز له العلامة التفرى روايته . وكان لهذا العلامة وقفات مشرقة في جهاد النصارى مع المستنصر وتوفي سنة ٣٨٣ هـ (٢) .

(١) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٢٤٥ .

• محمد بن يحيى بن مفرج القاضي . حافظ جليل ، حدث بالاندلس وصنف كتباً في فقه الحديث وفي فقه التابعين ، منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات ، وفقه الزهري في أجزاء كثيرة . وجمع مسند حديث قاسم ابن اصبح للحكم المستنصر ، وتوفي عام ٣٨٠ هـ (١) .

• اسحاق بن ابراهيم بن سرة . كان حافظاً للفقه على مذهب الاسام مالك واصحابه مقدماً فيه . وكان مشاوراً في الاحكام صدراً في الفتيا ، وكان يناظر طلبة في الفقه ، كان وقوراً مهيباً ، خرج غازياً مع الحكم المستنصر بالله ، وقد توفي سنة ٣٥٢ هـ (٢) .

• زكريا بن يحيى بن زكريا التميمي . كان فقيهاً نبيلاً في الفتيا وفقد الشروط ، وكان قد تولى القضاء في أيام الناصر والمستنصر وكان ثقة ، وقد كتب الناس عنه كثيراً . توفي عام ٣٥٩ هـ (٣) .

• محمد بن عبد الله بن أبي شعبة . كان من أهل اشبيلية ومعدوداً في فقهاؤها وله مكانة كبيرة بينهم (٤) .

• ما عد احمد بن ما عد ابو القاسم الطليطلي . وهو فقيه مشهور ، وقد توفي سنة ٣٦٢ هـ (٥) .

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٨ ، الضبي : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ٧٢ .

(٣) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ١٥١ .

(٤) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٨٦ .

(٥) الضبي : بغية الطلس ، ص ٣٢٣ .

- محمد بن عبد الله بن الوليد بن محمد القرشي المعيطي . كان فقيها جليلا زاهدا ورعا حافظا للفقه طالما بالرأى على مذهب الامام مالك وأصحابه ، وقد قدم الى الشورى وهو ابن ثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٣٦٧ هـ (١) .

- قاسم بن خلف بن عبد الله بن جبير المعروف بالجبيرى . كان فقيها طالما حسن النظر ، استقضاء المستنصر على طرطوسة وأعمالها ، وقد عهد الى الحكام بمشاورته فكان صدرا فى أهل الشورى . وكان المستنصر يجتمع ضده ويناظر طيه فى الفقه ، وكانت الدراية أغلب من الرواية ، ولقد توفى سنة ٣٧١ هـ (٢) .

- محمد بن عبد الله بن سيده من أهل بجاية . كان فقيها ، حافظا للمسائل ، ولقد هوب المستخرجة للامام المستنصر ، وتوفى سنة ٣٦٣ هـ (٣) .

- احمد بن عبد الوهاب بن يونس ، المعروف بابن صلى الله ، كان رجلا حافظا للفقه طالما بالا اختلاف ذكيا بصيرا ، وكان يميل الى المذهب الشافعى فتغقه فيه وناظر طيه ، وكان له حظ فى العربية واللغة وكان يعد من المقابليين للمستنصر (٤) .

- ابو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد الخشنى القيروانى المغربي . كان حافظا طالما بالفتيا حسن القياس ، وشاعرا بليغا ومفرما بالكيمياء .

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٢٨ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٣٦٩ .

(٣) ابن الفرضى : نفس المصدر ، القسم الثانى ، ص ٢٣ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٤٧ .

استطاع بعد انتقاله الى قرطبه ان ينقى ثقافته اللغوية والفقهية وان يوطد علاقته بالحكم المستنصر الذى صنف له كتباً كثيرة ، منها كتاب الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك ، وكتاب الفتيا ، وكتاب تاريخ الاندلس ، وكتاب تاريخ الافريقيين ، وكتاب النسب ، وكتاب اخبار القضاة بالاندلس . والاتفاق والاختلاف لمالك بن انس وأصحابه ، وقيل انه صنف مائة ديوان للحكم المستنصر ، وجمع له كتاباً فى زجال الاندلس . هذه الثروة كلها كانت من انتاج الخشنى وحده فرحم الله العلماء المسلمين فلقد أفادوا أهل الاندلس بعلمهم (١) .

الحديث

اهتم المسلمون بدراسة الحديث وحفظه ومعرفة صحيحه من سنيقه ، وترتب على ذلك ازدهار علم الحديث ، فتناولوه العلماء بالتأليف والبحث ومناقشة ما استجد من الموضوعات فى مجال علوم الحديث . ومن أبرز علماء الحديث فى عهد الحكم المستنصر :-

- قاسم بن اصبح بن محمد بن يوسف البهاني . من علماء قرطبه ، وقد كان صاحب مكانة علمية بارزة وعلم غزير . تهافت عليه طلاب العلم ، وقد سمع منه الحكم المستنصر واستفاد بعلمه الواسع فى مجال الحديث ، واستفاد من اخوته أيضا الذين تلقوا العلم على يديه ، وقد طال عمره حتى أخذت عنه طبقات تلو طبقات من طلاب العلم ، والحق الصغار بالكبار فى الأخذ

(١) الخشنى : قضاء قرطبه ، المقدمة - ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١١٢ .

فيه ، وكان بصيرا بالحديث ورجاله والى جانب ذلك كان بارعا في علوم اللغة والشعر ، وكان يستشير الخليفة في البت في الأمور الفقهية والقضائية (١).

• ابن عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى القاضي ، ويعتبر أصح محدث وحافظ في الأندلس ، وقد سمع في دراسته للحديث طس العلامة قاسم ابن أصبغ ، وحديث بعلمه وصنف كتبها في فقه الحديث وفي فقه التابعين منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات ، وفقه الزهري في أجزاء كثيرة ، وجمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر . وكان له تلامذة طما في مختلف الأقطار حيث روى عنه بالاندلس أبو الوليد الفرضي . وما يدل على غزارة علمه وثباته في اختصاصه أنه روى عن مائتين وثلاثين شيئا ، وقد مات سنة ٣٨٠ هـ (٢) .

• محمد بن فرج بن سبهون النحلي ، تنقل في أقطار عديدة ، ومن جملتها مكة المكرمة فسمع من طماها . وقد روى مصنف الشيخ المحسن البخاري رواية النسفي . وقد ازدحم على مجلسه طلاب العلم ورواد الحديث حتى سمع به الخليفة المستنصر وأدرك ما يتنازه من علم ومعرفة بالحديث ودراية بعلمه ، فاستقدمه إلى قرطبة للتدريس والحديث بها ، وكان ذلك عام ٣٦١ هـ حيث قدم إلى قرطبة ودرس بها وصنف كتبه بها . واجتمع عليه خلق كثير أخذوا بالحديث عنه (٣) .

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٣٧٠ .

(٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٨ .

- خالد بن سعد الذي يعتبر اماما في الحديث ، حافظا له بصيرا بعلمه ، عالما بطرقه ، مقدما على أهل وقته . وقد قيل انه حفظ عشرين حديثا في وقت واحد . وكان الخليفة المستنصر بالله يقول [اذا فاخرنا أهل الشرق يحيى بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد] ، ولخالد ابن سعد كتاب في رجال الاندلس ألفه للمستنصر ، وقد توفي هـ ٣٥٢ (١) .

- يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي . سمع من شيوخ أجلاء مثل كتاب التفسير ليحيى بن سلام على يد علي بن الحسن ، وسمع الواضحة ، ورجل الناس اليه من جميع كور الاندلس ، وكان ما رواه كتاب (الموطأ) وحديث الليث بن سعد وغيرها من أحاديث الشيوخ ، ولم يشهد بقرطبة مجلس مثل مجلسه ، ولقد سمع منه هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر ، وتوفي سنة ٣٦٢ هـ (٢) .

- زنباع بن الحارث . يذكره ابن الفرضي فيقول : انه رأى في تاريخ ابن حارث طحفا بخط امير المؤمنين الحكم بن عبد الرحمن . وكان زنباع يظن ، سمع من بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح . وكان سريع الحفظ ، قيل انه كان يحفظ عشرين حديثا في ساعة ، وتوفي في الاربعين من عمره (٣) .

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الاول ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ١٥٨ .

- محمد بن احمد بن ابراهيم ابن بريدة الشافعي البغدادي . تفقّه
للشافعي على ابن اسحاق العروزي ، وابي سعيد الاصطخري . ووصل
الى الاندلس سنة ٣٦١ هـ فأكرمه الحكم المستنصر وأحسن وفادته ، فقد
كان من أطعم الناس بذهب الشافعي ، ولم يصل الى الاندلس أحد
أفهم منه بالذهب الشافعي ولا أحسن قياما به منه . ولم تكن له كتب ،
ويقال انها ذهبت له مع اموال في المغرب . ولقد اتهم بالاغتيال فخرج
من الاندلس الى تيهرت وتوفي بها سنة ٣٦٧ هـ (١) .

- يعقوب بن سعيد الوراق . سمع من محمد بن معاوية القرشي المعروف
بأبن الأحمر ، وقاسم بن اصبح ، وكان من أروى الناس ، وألف (مسند حديث
ابن الأحمر) بأسر من المستنصر . وألف (مسند حديث أبي بكر محمد ابن
معاوية القرشي) من تأليفه وما سمع منه (٢) .

(١) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .

(٢) الحميدي : جذوه المقتبس ، ص ٣٨٦ .

ب - علوم الفلسفة والأدب

النحو

لقد اهتمى الاندلسيون باللغة والأدب منذ وقت مبكر ، فقد كانوا يحرصون على تلقين ابنائهم الفصحى من النشور والمنظوم ليرثوها فيهم الطلقات الأدبية منذ الطفولة (١) . ولما كان الأدب يقوم أساسا على قواعد اللغة العربية الفصحى ، فكان من العيب الكبير أن يخرج أحد على تلك القواعد ويقع في اللحن . لذلك حرص الاندلسيون على الاهتمام بقواعد اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، فنبغ منهم الكثير من النحويين الذين أضافوا مادة غزيرة الى ذلك العلم ، وكان أبرزهم في عهد الحكم المستنصر :

- محمد بن الحسن الزبيدي ، وكان يعد من أشهر النحاة ، فقد كان علامة ويعد من أئمة اللغة العربية . ألف كتابا اسما (الواضح) واختصر كتاب (العين) اختصارا حسنا ، وجمع في الابنية وفي لحن العامة وفي اخبار النحويين كتابا مشهورة ، وله تعانيف في فنون الأدب ، وكان بالإضافة الى ذلك شاعرا كثير الشعر (٢) . وقد لقي من المستنصر كسل تشجيع وتعظيم وقد خلع عليه خلعه سنه بعد تصفحه لكتابه اختصار كتاب العين (٣) .

- العلامة ابن سديد ، وكان اماما في اللغة العربية ومقدما فسي

(١) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٢٣ .

(٢) الفبي : بغية الطمس ، ص ٦٦ .

(٣) ابن حبان : المقتبس ، ص ١٣٣ .

علومها . ولقد ألف في اللغة صنفاً عديدة قيل انها بلغت مائة مجلد ، تناول فيها طوماً كثيرةً ومتعددة . وله في العربية الكتاب المسمى (كتاب العالم والتعلم على السئلة والجواب) ، وله أيضاً (شروح على كتاب الاخفش) (١) .

- فرج بن مالك النحوى المعروف بالهفل ، كان نحويًا لغويًا عالمًا بمعانى الشعر ، وله مكانة كبيرة في علمه (٢) .

- محمد بن يحيى بن عبد السلام الرهاوى نحوى مشهور ، ويقال عنه انه كان يعد من كبار النحويين ، ولا يقصر عن اكابر أصحاب المبرد ، مما يدل على غزارة علمه في النحو (٣) .

الأدب

وحظى مجال الأدب في بلاد الاندلس باهتمام كبير بين النساس ، وخاصة العلماء والأدباء الذين انكبوا على دراسة الأدب والاهتمام بنواحيه المختلفة . ويعتبر ميدان الأدب هو الميدان الذى حاز على أغلبية النشاط الفكرى بنواحيه المختلفة . ولا نستطيع أن ننكر مكانة الأدب وشيوعه فى المجتمع الاندلسى عامة بل نكاد نجزم قائلين ان المجتمع الاندلسى مجتمع متأرب ، ظلت عليه الصبغة الأدبية والفطرة الشاعرية لما كان للبيئة من

(١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٤٠٢ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١٤٢ .

(٣) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

معطيات جمالية ، أنت لديهم القدرة على العطاء بصورة متدفقة فظهر
لدينا أدباء بارعون ، وشعراء موهوبون . أضف الى عامل البيئة القدرات
الشعرية والطلاقات الأدبية التي جعلت منهم خطباء مصقعين وأدباء متمكين
وشعراء مبدعين . ومن أبرز الأدباء الذين حفظ لنا التاريخ فنونهم الرائعة
- الاديب العلامة احمد بن فرج الجبائى ، وكان وافر الأدب ، خصيب
الشعر ، جميل القول معدودا فى العلماء وفى الشعراء ، وله كتاب يسمى
كتاب الحقائق ، وهذا الكتاب يعد من أثنى الكتب التى ضمت بين دفتيها
روائع الشعر الاندلسى وانتاج ادبائه . ولقد ألفه للحكم المستنصر الذى
كان يرمى الفنون والاداب ويوليها عاهته . وقد عارض فى كتابه هذا
كتاب الزهرة ، هذا الكتاب الأدبى الشرقى لمؤلفه ابى بكر محمد ابن
داود . الا أن منهج هذا الأخير كان قائما على تقسيم الكتاب الى مائة
باب وفى كل باب مائة بيت ، فى حين ان مؤلف الجبائى كان مقسوما على
ماقتى باب ، كل باب مائتا بيت ليس فيها باب تكرر اسمه ، ولم يورد لغير
اندلسى شيئا ، ولقد اثنى العلماء والادباء والمشتغلون بالأدب على
هذا الكتاب لأن مؤلفه الجبائى قد أحسن الاختيار ، وأصاب الهدف
المنشود والغاية المتوخاة من وراء هذا المحصول الأدبى البديع فأتى
بكتاب الحقائق نادرا فى موضوعه وفريدا فى معناه . وله كتاب آخر يسمى
كتاب (المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم) ، وله كتب أخرى قيمة .
ومن المؤسف ان نهاية هذا العالم الجليل كانت السجن ، حيث تقسم
عليه المستنصر لتصرف بلغه عنه ، فنفت اشجانه وأحزانه فى قوالب

شعره بديعه (١) .

- الأديب العلامة أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب المؤلف الأدبي القيم (العقد الفريد) الذي يعد من أركان الأدب وأصوله ، فهو مرآة لثقافة الأندلسيين تعكس ما كانوا عليه من بلاغة وجزالة اللفظ وأدب راق عظيم . كان مؤلفه ادبياً شاعراً ، ولقد جمع شعره حتى أن الحميدى يذكر بأنه شاهد عند هشرين جزءاً من جطة ما جمعه للخليفة المستنصر . وكان له في العلم جلالة وفي الأدب رياسة مع دين ونزاهة بلغت اسمى المراتب (٢) .

- عبدالله بن محمد بن مغيث بن عبدالله الانصارى . من اشراف قرطبه ، وكان من أهل المعرفة والنباهة والذكاء واليقظة والحدق والفهم ، ومن أهل الأدب والتاريخ والشعر الرائق والكتابة البليغة مع الدين والنسك والعبادة . ولقد جمع كتاباً من شعر الخلفاء من بنى أمية ، وله كتاب (التوابين) من تأليفه . وكان اثراً عند الحكم المستنصر ، قريبا منه ، توفي عام ٣٥٢ هـ (٣) .

-
- (١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٥ - ابن دحية : المطرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد ، احمد بدوى ، مراجعة : طه حسين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ، ص ٤ - ٥ .
 (٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ١٠٥ - لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٧٥ .
 (٣) الضبي : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ - الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

الشعر :

ولقد ازدادت الهيئة الاندلسية بعدد كبير من الشعراء الذين اسهموا بنصيب وافر في اثراء الأدب الاندلسي بألوان متعددة ففى موضوعات الشعر ففى عهد الحكم المستنصر ، وكان من أبرزهم :-

.. يوسف بن هارون الكندى ، ويعرف بالرمادى ، وهو شاعر كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة فى الاندلس ، واتفق الجميع على انه (افتتح الشعر بكندة وختم بكندة) حتى ان كثيرا من شيوخ الأدب فى وقته يرون ذلك أى أنهم يعنون امرأ القيس ، والعتبي ، ويوسف بن هارون .

ومدح الرمادى أبا على القتالى عند قدومه الى الاندلس بقصيدة رائعة أولها :

من حاكم بيضى وبين غزولسى الشجو شجوى والعويل عويلى
كما مدح الرمادى الحكم المستنصر . وألف فى السجن كتابا رائعا سماه
(كتاب الطير) وصف فيه كل طائر معروف ، وذكر خواصه ، وذكر كل
قطعه بمدح ولى العهد هشام بن الحكم مستشفعا به الى ابيه فى
اطلاقه بعد ان سجنه الحكم المستنصر هو وجماعة من الشعراء لاتبائهم
بذم السلطان فى قصيدة شعرية . وقد عاش مدة طويلة بعد ذلك ومدح
الملوك والرؤساء (١) .

(١) الحميدى : جذوة المقنن ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

محمد بن الحسين التميمي الحمانى الطينى الزابى ، وطنه بلد
من أرض الزاب فى عدوة الأندلس . كان شاعرا مكثرا وأديبا مفتنا من
بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة . وكان معاصرا للحكم المستنصر ، ولله
أولاد نجباء مشهورون فى الأدب وفى الشعر (١) .

أبو بكر الفيلس . شاعر مبدع ، كان فى أيام الحكم المستنصر ،
وله مع الحاجب أبى الحسن جعفر بن عثمان المصطفى مجامع بالشعر ،
وله قصيدة بعث بها الى أبى بكر اللوى اثر طعة أهلها يعظه فيها بقوله :

تبين فقد وضح المعلم	وإن لك الأمر لو تفهم
هو الدهر لست له آئنا	ولا أنت من صرفه تسلم
وإن أخطأتك له أسهم	أصابتك بعد له أسهم
لياليه تدنى اليك الردى	دوائب فى ذاك ما تسأم (٢)

(١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ - الضبى : بغية الملتص ،

ص ٦٨ .

(٢) الحميدى : نفس المصدر ، ص ٣٩٢ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٥١٨ .

الموشحات :

وتعتبر الموشحات فنا من فنون الشعر ابتدعه الاندلسيون ولم يسبقهم فيه احد . وقد نشأت الموشحة لكي تكون في خدمة الغناء ففى الاندلس نظرا لطبيعة الحياة الرغدة الناعمة ، فهو عبارة عن قطعة موسيقية أقرب منها الى قصيدة شعرية ، فهي تتسم بسهولة فى اللفظ وموسيقى فى الكلمات . اما معانيها فهي سهلة لا تحتاج الى جهد لكي تفهم ، حتى تصلح لأن تغنى ، وتتيح للمغنى تجويد غائه فيها . يقال ان أول من ابتدعها محمد بن محمود القبرى ويقال انه مقدم ابن معاضى القبرى . ويحيى* اسم احمد بن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) فى مقدمة يتدعى هذا الفن الذى رما اقتبسه من القبرى . ولكن المؤلف الفعلى للموشحات هو ابو بكر عباد* بن ما* السا* المتوفى عام ٤٢٢ هـ .

اما أشهر الموشاحين فكانوا : الأعمى التطيلي ومحمد بن عباد ابن القزاز ، وعباد* بن ما* السا* . ويحيى بن بقى ، وابن زهر ، ولسان الدين بن الخطيب .

ولقد أصبحت الموشحات من الفنون الذائعة فى الأدب الاندلسى بعد مغيب القرن الرابع الهجرى ومجى* القرن الخامس الهجرى . ولذلك فالقرن الرابع الهجرى لا يعنىها كثيرا فى دراستنا للموشحات فى عهد الحكم المستنصر لانه توفى عام ٣٦٦ هـ ، أى قبل اطلاله بمدة ليست بمسيرة (١) .

(١) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص ٣٧١ - ٣٧٣ .

جـ - العلوم الانسانية

التاريخ والجغرافيا :

احتل علم التاريخ والجغرافيا مكانة بارزة بين العلوم التي استحوذت على اهتمام أهل الاندلس ، فقد عني الكثير من علماءهم بالتاريخ والجغرافيا وخاصة تاريخ بلادهم ومعرفة اقاليمه وجغرافيته ، والواقع ان الاندلسيين قد برزوا في ذلك وكأنهم قصدوا اظهار ما لهذا المقع الناقص من افضلية يتميز بها بين بلاد العالم الاسلامي (١) .

ومن أبرز المؤرخين في عهد الحكم المستنصر :-

- المؤرخ العلامة محمد بن يوسف ابو عبد الله التاريخي الوراق الذي ألف كتابا كثيرة في التاريخ والجغرافيا ، فقد ألف للمستنصر كتابا ضخما في جغرافية افريقيا ومالكها وسماء (سالك افريقيا ومالكها) . كما انه أتبع ذلك بأخبار ملوك افريقيا وسيرهم وحروبهم والغالبين عليهم في كتب جمه . وكذلك ألف في مدن مختلفه مثل تيهرت ، ووهران ، وتنيس ، وسجلماة ، ونكور والبصرة ، وله توالييف كثيرة في مستوى جيد تشمل الكثير من المعلومات الهامة عن تلك المدن (٢) .

- أبو بكر محمد بن عمر الذي اشتهر بابن القوطية ، نسبة الى مسارة القوطية ابنه غيطشة القوطي . وكان بارعا في اللغة والحديث والأدب والس

(١) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

جانب ذلك فهو مؤرخ ممتاز ألف كتابا في (تاريخ افتتاح المسلمين الاندلس) وهو من المراجع الهامة في تاريخ تلك الحقبة ، وقد سرد تلك الاحداث وما بعدها في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر . ولا ين القوطية مؤلفات عديدة منها كتاب (تصريف الافعال) وكتاب (المقصور والمدود) وغيرها من الكتب . وكان حافظا لاخبار أهل الاندلس ، ولما برواية سير أُمراءها وأحوال فقهاها وشعرائها عن ظهر قلب . وطال عصره حتى سمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه جماعة من الشيخ والكهول ممن ولى القضاء وقدم الى الشورى وتعرف في الخطط مع ابننا الطولك وغيرهم ، وتوفي سنة ٣٦٧ هـ بعد أن أدى للعلم خدمات جليلة (١) .

- احمد بن محمد بن موسى الرازي ، وهو اندلسي أصله من الري . له في تواريخ وسير ملوك وحكام الاندلس كتاب كبير . كما انه ألف في مدينة قرطبة وخطتها ومنازل العظماء بها كتابا على النسق الذي اتبعه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . وله كتاب ضخيم يقع في خمسة أجزاء في انساب مشاهير الاندلس من العلماء والحكام والولاة (٢) .

- مطرف بن عيسى الفسائي ، من أهل غرناطة . كان من أهل العلم والرواية للحديث ، وكان ذا طم غزير فقد ألف للخليفة الحكم المستنصر كتابا سماه (المعارف في أخبار كورة البصرة وأهلها وبناتها وأقاليمها

(١) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ٢٦-٢٧ - ابن خلكان وفيات الأعيان ، ص ٣٦٨ .

(٢) الضبي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

وغير ذلك من منافعها) ، وهو كتاب من أحسن الكتب وأمتعها أفاد به أهل الاندلس ، واثبت فيه اهتمامه بالناحية الجغرافية للبلاد بمعد أن وقف على أهميتها وكونها عاملا مهما في مجريات الأحداث التاريخية (١).

- اسحاق بن سلمه بن وليد بن بدر القينى من أهل ربة ، سمع من وهب بن سرة الحجازى وغيره . وكان حافظا لأخبار أهل الاندلس معتنيا بها ، وجمع كتابا في أخبار الاندلس أسره بجمعه المستنصر رحمه الله وقد كتب عنه (٢) .

الفلسفة :

لم تكن الفلسفة تشغل بال العلماء في الاندلس في بدايات عهدهم بقدر ما كانت تشغل بالهم العلوم الشرعية وطوم اللغة والآداب . الا أننا نلاحظ أن التغيير في نظرتهم إلى الفلسفة قد بدأ حينما وفدت على الاندلس من المشرق المذاهب الفكرية والمجادلات المذهبية ، فبعد ورود تلك التيارات نلاحظ إقبال بعض الاندلسيين على دراستها بـلـل واهتمام بعضهم لتلك الأفكار (٣) . فأول من عرف بالاشتغال بالفلسفة محمد بن عبد الله بن سرة الباطنى ، وكان هذا الفيلسوف على طريقة من الزهد والعبادة حتى استطاع أن يفتن جماعة من أهل قرطبة

(١) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦٢٢ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٣ - الحميدى : الجذوة ، ص ١٦٩ - الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
(٣) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وان يؤثر فيهم بافكاره الباطنية المنحرفة التي تنطوى على آراء شاذة
تقدح في الدين وتضطرم مع افكار الشريعة الاسلامية . وما سهل عليه
مهمته تلك ما كان يتمتع به من عقلية غضة ولافة في القول . وكانت له
آراء غاضة واشارات صوفية وتوالييف في معانى غريبة اخاطبه بهالة من
الشك وصورته بصورة جعلت العلماء يكفرونه ويتهجون به بالزندقة (١) . وعند ما
وصل خبره الى الخليفة عبد الرحمن الناصر سعى في القبض عليه والتحقيق
معه حتى اتضح له ما كان يروجيه من افكار باطنية . ثم أخذ يتتبع اتباعه
ويلاحق أنصاره وحللة آرائه ومؤيديه . ولقد خلف ابن سره عدد من
تلاميذه مثل رشيد الدجاج القرطبي ، والياس الطليطلي ، وغيليل ابن
عبد الملك ومحمد القيسي (٢) .

وقد اهتم القاضي ابن زرب بطلب اصحاب ابن سره والكشف عنهم ،
ولم يكتف بذلك بل انه اعد مؤلفا في الرد على آراء ابن سره مسنة
٣٥٠ هـ واتى بجماعة منهم واستكشف حقيقتهم ثم أخذ ما تمكن من جمعه
من مؤلفات ابن سره وأحرقها امامهم وهم ينظرون (٣) .

ومن الجدير بالذكر انه في عهد الخليفة الحكم المستنصر كانت
هناك حرية تامة للبحث والنظر في جميع المسائل ولكن من غير قدح في
الدين ومن غير نشر افكار شوشة ومضطربة يفتزع لها العامة . ففي عهد

-
- (١) الضبي : المصدر السابق ، ص ٢٨ - لطف بن عبد البديع : المصدر السابق ،
ص ٤٧ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٣) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٧٨ .

قرب العلماء وسهل لهم متطلباتهم ، وتبهاً له ذلك لشدة رغبته فى العلوم وثقافات الأمم الأخرى . واقتداً بأهل العلم والحكمة من الملوك السابقين (١) ، فظهر فى عهده بعض من الفلاسفة أمثال محمد بن الحسن الذى حصى وكانت له قدم راسخه فى طم المنطق والحكمة ، فألف رسائل فى ذلك . وكان الى جانب ذلك له معرفة بالأدب والشعر والطب . وقد عاش الى ما بعد القرن الرابع الهجرى (٢) .

وهكذا لم يفسق الحكم المستنصر على طاعة الفلسفة بل شجعهم ، وأتاح لهم الحرية التامة شريطة ان تكون فى حدود لا تخرج عن أطوار الشريعة الاسلاميه .

ومن ظهر فى عهده أيضاً احمد بن حكم بن حفصون ، ولكنه كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ، متعللاً بالحاجب جعفر المصنف فأتى فأوصله الى الحكم المستنصر وقره منه (٣) .

(١) لطف عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) الضبى : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٣) صايد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ١٥٣ .

د - العلوم التجريبية

الرياضيات والفلك :

أشرت فيما مضى الى النشاط العلمي لأهل الاندلس في ميادين العلوم الشرعية والأدبية واللغوية والانسانية ، وننتقل للحديث التقدم العلمي في ميدان العلوم التجريبية .

ما لا شك فيه ان أهل الاندلس كان لهم باع طويل في تطوير تلك العلوم حتى انصرف الكثير منهم الى الاشتغال بها والنبوغ فيها ، وخصوصا في فترة الخلافة المزدهره ، تلك الفترة التي ازدهرت فيها الحركة العلمية بصورة عامه ، وكان من الطبيعي ان تشمل في ازدهارها تلك العلوم . واذ اضعنا الى ذلك موقف الحكم المستنصر من تلك العلوم ومدى حرصه على تشجيع الدارسين لها والشتغلين بها ادر كنا نهـمـوـغ الكثير من العلماء في ذلك المجال .

فقد ازدهر علم الفلك في عهد الحكم المستنصر الذي أولا كل رعاية واحاط الشتغلين به بتشجيعه ، واستحضر من العراق ومصر امهات الكتب فيه سواء قد يها وحد يها فأدى ذلك الى نبوغ الكثير من الفلكيين الذين تخصصوا في حركات النجوم واستخدام آلات الرصد ، فأثبتوا نبوغهم وتفوقهم في ذلك المجال ، بما قاموا به من تصحيح وتحسين الجداول الفلكية ، وتقويم نتائج من سبقهم .

ونتيجة للارتباط العميق بين الدراسات الرياضية والفلكية نلاحظ

ان العديد منهم قد جمع الى تفوقه ، في الرياضيات براحة في طمس
الفلك . ولقد ازدهرت تلك الدراسات حتى اصبحت تدرس في الجوامع
مع العلوم الشرعية والأدبية الأخرى .

ومن أبرز العلماء الذين تفوقوا في تلك العلوم احمد بن محمد
الانصارى الذى برز في علم الرياضيات وتفوق في علم الفلك ، فكان يقوم
بالتدريس لطلبته في جامع قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وقد
شهد له استاذة سلعة المجرى بالتفوق في هذا المجال . وقد كان
لمسلة مدرسته عظيمه خرجت التلاميذ النجباء الذين برعوا في تلك العلوم .

ويعتبر العلامة الفلكي أبو القاسم سلمه بن احمد المعروف بالمحريطى
امام الرياضيين في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم ،
وكانت له عناية بأرصاد الكواكب ، ولقد شغف بفهم كتاب بطليموس المعروف
(بالمجسطى) ، وله كتاب في علم الحساب وطسم العدد المعروف لسدى
أهل الاندلس بالمعاملات ، وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من
زيج (١) البتاني . كما انه اهتم بزيج محمد بن موسى الخوارزمي ، وحول
تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ، ووضع اوساط الكواكب فيه لأول تاريخ
الهجرة ، ثم زاد فيه جداول حسنة . وتوفي أبو القاسم سلمه بن أحمد

(١) الزيج وسيلة من الوسائل الهامة في الدراسات الفلكية ، وقد عرفه ابن خلدون
بأنه صناعة حسابية على قوانين عددية فيها يخص كل كوكب عن طريق حركته
وما ادى اليه برهان الهيئته في وصفه به بسره ويطر واستقامه ورجوعه وغير
ذلك ، ويعرف به مواضع الكواكب في افلاكها .
(سعد البشرى : الحياه العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ، ص ٣٩٢) .

قبيلى منبعث الفتنه فى سنة ثمان وتسعين وثلاثائه للهجرة ، وقد انجب
تلاميذ لم ينجب عالم بالاندلس مثل ابن السح ، وابن الصفسار ،
والزهري ، والكرمانى ، وابن خلدون (١) .

• عبد الله بن محمد المعروف بالسرى ، وكان عالما بالعدد والهندسة
والحساب وله كتاب مشهور فى البيع وكان ينسب اليه العلم فى الكيمياء وكان
معظما عند الحكم المستنصر ومقرها لدية (٢) .

الطب والصيدلة :

اعتنى المسلمون فى الدولة الاسلامية بعلم الطب اهتماما بالغا ، فكما
ان الاسلام حرص على معالجة العقول من الامراض الفكرية والانحرافات
الدينية ، فقد حرص أيضا على معالجة الابدان وتطهيرها والاهتمام بها ،
لأن العقل السليم فى الجسم السليم . وتبعاً لهذا فقد ظهر لدى
اهتمام كبير من المسلمين فى الاندلس بالطب وأموره . ولقد نبغ فسى
عهد الحكم المستنصر اعلام كثيرون فى الطب .

ويبدو ان الحكم المستنصر قد استحدث نظاما جديدا للأطباء
المشتغلين والطحفين بخدمته ، فقد انشأ ديوانا يضم أولئك الأطباء
وينزلهم بهم على درجات متفاوتة حسب قدراتهم ومهاراتهم (٣) . ومن

(١) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) سعد البشرى : المرجع السابق ص ٣٥٦ .

أشهر هؤلاء :-

١ - الطبيب احمد بن حكم بن حفصون ، وكان نابغا في معرفة أسباب الامراض ، جيد القريحة في معرفة العلاج ثم وصف الدواء . ونظـمـرا لشهرته قدمه الحاجب جعفر المصحفي في ديوان الأطباء في بلاط الحكم وبذلك قدم له خدمات كثيرة ونال بذلك مكانة طيبة بين أطباء البلاط طوال عهده (١) .

٢ - ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بالكشاني . لقد أدرك هذا الطبيب صدرا من خلفه الحكم المستنصر ، وكان رجلا فصيحا محبوبا ، وذلك لما جبل عليه من خلق حسن ومعرفة تامة بعلمه ، فلم يكن ممن يترفع بعلمه عن خدمة الناس بل استغده في مداواة المريض وعلاج السن وذوى الحاجة والفقير غير القادر على دفع الثمن ، وكان لطيفا مع مرضاه ماهرة في صنعة تقتنا لها . ومن العجيب انه توفي بمرغولم يستطيع ان ينقذ نفسه منه وكان ذلك مقدرا عليه (٢) .

٣ - عزو أحمد ابنا يونس الحرانسي . لقد رحلا الى الشرق في عهد عبد الرحمن الناصر ، وقدا الى الاندلس في عهد الحكم المستنصر ، فألحقهما بخدمة واستخلصهما لنفسه من سائر اطباء وقته لما يتميزان به من قدره وتفوق على علاج الامراض ، ومعرفة تامة بها . ولقد توفي عـزـو

(١) ابن جليل : طبقات الاطباء ، ص ١١٠ - صاعد الاندلسي : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) ابن جليل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

ويبقى احمد اثيرا عند الحكم المستنصر الى آخر أيامه (١) .

٤ - محمد بن عبدون الجبلى ، لقد رحل الى الشرق ، ودار فى بلدانه ، وتمهر فى الطب ، واحكم كثيرا من أصوله ، واهتم بعلم الخطق ، شمس صاد الى الاندلس والتحق بخدمة الخليفة الحكم المستنصر بالله وابنته هشام المؤيد بالله فى الطب ، وكان قبل ان يتطهب مؤمدا فى الحساب والهندسة ، وله فى التفسير كتاب حسن ، وكان من أبرز وأعظم المعلمين فى الطب ، ولم يبق طالب الا وتلقى العلم على يديه ، ولم يجاره أحد فى صناعة الطب وتفوقه فيه وضبطه له وحسن تدريبه عليه (٢) .

وخلاصة القول ان العلوم بجميع أنواعها سواء كانت من العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والانسانية والتجريبية قد لاقت كل اهتمام وعناية من الحكم المستنصر ، فكان تشجيعه للعلماء فى هذه الدراسات المختلفة عاملا كبيرا من عوامل ازدهار العلم فى عهده .

(١) صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ابن جليل : نفس المصدر السابق ، ص ١١٢ .
 (٢) ابن جليل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ - صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

انخاتمہ

الخاتمة

يلاحظ القارىء بعد هذه الدراسة الشاملة لعهد الخليفة الحكم المستنصر عدة نتائج هامة يمكن تلخيصها فيما يلى :-

١ - حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على تهيئة ابنه الحكم للخلافة ، فقد حرص على ان يختار بين رجاله وجلسائه من العلماء الافاضل ممن يعينه على تنشئة تنشئة تعينه على تولي الخلافة من بعده ، وإدارة شئون الدولة ومعالجة أمور الرعية بحكمة وروية والبعاد عن الصفائير التي لا تلحق بمركز الخليفة ، كما عهد اليه منذ وقت مبكر بمسئوليات تعينه بالرباط والتوجيه بالاعراف على شئون العلم والعلماء ، أى أنه أصبح أشبه بوزير التعليم كما نسميه في بلادنا في وقتنا الحاضر ، وكان لذلك أثر كبير في عقل شخصيته وبروزها ، وتدريبه على المواقف حتى اذا ما تولي الخلافة باشر شئون الحكم والرياسة فكان فيها الرجل المبرز القادر على تصرف الأمور ووضعها فسيحاً ناهبها بحنكة وذكاء نادرين .

٢ - بعد ان تربي الحكم في تلك المدرسة العالية وتدريب على خوض الأمور والسياسات الصعبة تسلم كرسى الخلافة بعد وفاة أبيه في شهر رمضان ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . وبعد ان بويح له البيعة الخاصة ثم العامة انصرف الى ادارة دفة الدولة بكل نشاط وحساس وقوة واقتدار . فلقد تمت توليته بالبيعة الأولى أو الخاصة التي بايعه فيها كبار رجال الدولة وعلى رأسهم اخوته جميعاً حال وفاة أبيه وبصورة فائقة في السرعة لا تسمح لأحد بالتفكير في الخروج عليه أو عياد

مبايعته بالخلافه . ثم كانت البيعة الثانية أو العامة التي توافد فيها أفراد الشعب من كل مكان لمبايعته والتسليم عليه بالخلافه .

٣ - أن جهاد الحكم المستنصر مع ملوك وأسرا* الأسبان النصراني أثبت لهم انه ليس بأقل من والده قوة وعزما على استعمال شأفتهم والوقوف في وجههم حتى أصبحوا يقدون عليه جماعات تلو جماعات للتقرب منه والتزلف اليه حاملين معهم هداياهم القيمة ومصطحبين أبنائهم رهينة لديه . وكان الحكم المستنصر بدوره يقابل تلك الوفود باستقبالات رائعة يحضرها الأدباء والشعرا* حيث يلقون القصائد في مدحـه والتفنى بعظمة الخلافة امام ضيوفه . وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الحكم المستنصر يغفل عن جانب الحذر والحيطه من هؤلاء النصراني وأرائهم فيث العميون في الثغور والموانئ* لتتبع حركاتهم خفيصة ، وعندما كانت تحدث من أحدهم أي بادرة تدل على نكوصه عن عهده معه كان يسارع الى حربه . وقد حدث فعلا ما كان يخشاه مسن خروج بعضهم عليه مثل حاكم قشتاله الذي قام بالاغارة على أراضي المسلمين واحراق مزارعهم وكان ذلك ورجال وفده الذين بعثهم الى الحكم المستنصر مازالوا في طريق عودتهم اليه ، بعد أن أحسن الحكم المستنصر استقبالهم في قرطبه ، فما كان منه الا أن أمر بالقاء القبض عليهم والسج بهم في السجن عقابا لما قام بهـم أميرهم ، ثم بادر بالزحف على بلاد اماره قشتاله ليلقن أميرها درسا لن ينساه .

٤ - أن الحكم المستنصر في جهاده ضد النورمان لم ينتظر تعرض الاندلس لخطر الغارات المفاجئة التي كانوا يقومون بها على شواطئ الاندلس وثورها . كما كان يحدث في عهد أسلافه وإنما حرص على بث الجواسيس والمراقبين لتتبع أخبارهم ومعرفة وجهتهم للاستعداد لسرد غاراتهم إذا ما اتجهوا إلى الاندلس ، كما اهتم بهنبا* المزيد من القوة البحرية وتحصين الشواطئ* والثغور الأندلسية . وعندما أحس النورمان باستعدادات الأندلسيين الحربية البحرية المكثفة وتأهبهم لملاقاتهم وصد غاراتهم لاندوا بالفرار وجاءت البشائر إلى الخليفة تبشيره بفرارهم وخوفهم من ملاقات الاندلسيين والافارة على شواطئهم وثورهم .

٥ - أنه بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومد سلطانها على كافة بلاد المغرب وعلى وجه التخصيص المغرب الأقصى تطلع الفاطميون إلى نشر الدعوة الشيعية في الأندلس والقضا* على ملك الأمويين بها ، وبعد أن شعر عبد الرحمن الناصر بهذا الخطر أخذ يتصدى له بكل ما أوتي من قوة وحسن سياسة فاتجه إلى الاهتمام بالبحرية الأندلسية لاستخدامها في الدفاع عن الشواطئ* الأندلسية وفسي بسط النفوذ الأموي على المغرب الأقصى الذي اتخذ منه بمثابة خط دفاع أمامي عن الاندلس ، كما أخذ يناصر أعداء الفاطميين في بلاد المغرب ويدهم بأسباب القوة والتمرد عليهم ، وقد سار على هذه السياسة من بعده ابنه الحكم المستنصر ، بل كان نجاحه

فى تحقيقها اكثر من نجاح أبهى . ولقد ظل الحكم المستنصر شوكة
فى خلق الفاطميين حتى بعد رحيلهم الى مصر . ولم يتركه
الفاطميون بدورهم هانىء البال بل وضعوا له نوابا عنهم من
آل زيرى فى حكم المغرب يقومون باثارة البربر ضده والخروج عليه .

ولقد تكلفت تلك المعارك والخصومات بين الحكم المستنصر
والفاطميين ونوابهم آل زيرى بالنصرة للحكم المستنصر الذى استطاع
ان يسد كل ثغرة تأتى عن طريقهم . وفى هذه الاثناء خرج
الادارسة حكام طنجة من بنى محمد بقيادة الحسن بن قنون وخلصوا
طاعة الأيوبيين ، فما كان من الحكم المستنصر الا أن أعد لكل أمر
عدته ، فرسم لمحاربتهم والقضاء عليهم الخطط الجديدة ، وجذب كبار
رؤوسهم بالأموال الجمه . وقد تكلفت خطته فى هذا الصدد بالنجاح
الساحق الذى أثمر عن استسلام الحسن بن قنون زعيمهم وحضوره
الى قرطبة بصحبة جيش الحكم المظفر فعاش فى كنف الخليفة الذى
ان حدث منه ما لم يكن فى الحسبان ، فأمر باخراجه من الأندلس
حيث توجه الى تونس ومنها الى مصر لاجئا الى الفاطميين مرة أخرى .

٦ - وفى ظل تلك الاحداث الجسام ازدهرت الدولة الاسلاميه فى
الأندلس ازدهارا عظيما ليهيمن الناحية السياسية وقوة الخلافة
فحسب بل من حيث النهضة العلمية وتطور العمران والحياة الاجتماعية
وذلك نتيجة للعناية الفائقة التى بذلها عبد الرحمن الناصر لرفع

مستوى الحياة العلمية ومستوى المعيشة وخلق الأجواء المناسبة
للابتكار والابداع . ولقد وجد أهل العلم من المشاركة والمشاركة
على حد سواء . كل تقدم ورعاية وتشجيع أدبي طوس فكان مهـ
الخليفة عبد الرحمن الناصر عسرا ن هـيا . احتل فيه الاندلس مكانة
مرموقة بين بلدان العالم الاسلامي والأوروبي معا .

٧ - كما ان ابنه الحكم الذي اهتم أبوه عبد الرحمن الناصر بتربيته
وهاداه لتولي الخلافة من بعده ، قد ظهرت نجابته وهو مازال وليا
للعهد فلم تكن مجالسه تملأ من العلماء والشعراء والفاضلـ
والفقهاء والشايخ الذين تلقى العلم عنهم وفي مقدمتهم قاسم ابن
اصبغ ، واحمد بن دحيم ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم ،
وأبو علي القاسي الذي غرس فيه حب العلم واقتناء الكتب وحفظها
بعد قراءتها وكتابة تعليقات على هواشها ان لم يكن القصد من
الكتب الاقتناء وحده بل الاستفادة منها ، وترغيب الخاصة في اقامة
المكتبات ونشر ما في الكتب من معلومات بين طلاب العلم والأدب .
كما كان احترامه للعلماء وتقديره لهم ان جعلهم يحرمون على
طلبتهم من حيث التحصيل والتلقي ورفع مستواهم العلمي . ولم يكف
الحكم المستنصر بتشجيع العلماء ماديا بل كان حرصا على تهجيلهم
واحترامهم فقد كان يقوم بزيارتهم من وقت لآخر لمشاهدتهم مسـ
طلابهم ومعرفة أحوالهم ، ومن زارهم العالم أبا الحسن علي ابن
محمد الانطاكي .

ومن شدة حرصه على جعل قرطبه مركزا للعلم كان يستقدم اليها كل من يسمع بعلو مكانته في العلم والأدب أو في أي ناحية من نواحي المعرفة ويعهد اليه بمهمة القاء دروس عامة في مسجدها الجامع . فقد استقدم الى قرطبه على بن معاذ الرعيني وكان عالما لغويا وطلب منه القاء دروسه في مسجد سلمه سنة كاطه . وهيأ لأمثاله من العلماء الزائرين السكن المريح والحياة الرغدة .

ومن ابتكاراته في النهوض بالعلم انشاء مدارس أولية لتعليم أولاد الفقراء بالمجان . وبذلك يعتبر الحكم الست نصر أول من فكر في مكافحة الأمية بين الرعية . ولم يقتصر التعليم في عهده على الرجال فقط ، بل شاع كذلك بين النساء فأقبلت الكثيرات على التعليم وحفظن الحنون والدواوين الشعرية ونتيجة لذلك ظهر في الاندلس ما يقرب من مائة وسبعين امرأة يشتغلن بالعلم ونسخ الكتب ، ومن أشهر هؤلاء لبنى كاتبة الحكم المستنصر .

ولقد بلغ اهتمام الحكم بتشجيع العلماء على تأليف الكتب درجة كبيرة وذلك بمنحهم الجوائز المادية كما ابتكر لذلك طرقا حافزة منها اعطاء المؤلف من الجهاد مقابل تأليف الكتب وتخصيص جوائز مادية كبيرة واسناد اعمال هامة في الدولة للمؤلفين ، مع اعداد المصادر والمراجع وتأمين جميع وسائل الراحة والاستقرار لهم . كل هذه الوسائل شجعت العلماء على تأليف الكتب ونفع عجلة الحركة

العلمية الى الامام .

٨ - انشأ مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة نتيجة لاهتمامه الكبير بالعلم والكتب فتكونت في قصر الخلافة مكتبة عظيمة . وقد اثنى الحكم المستنصر عناية كبيرة بالبحث عن الكتب النادرة ونقلها بالنسخ أو الشراء فحطت اليه الكتب من جميع الجهات . ولقد اختلف في تحديد عدد الكتب في هذه المكتبة فقال بعضهم انها كانت اربعمائة ألف كتاب ، وقال آخرون انها ستماية ألف . وهذا ان يدل على شيء فانما يدل على ضخامة تلك المكتبة وكثرة كتبها حتى اختلف في عدد ها ، وكان المشرف على تلك المكتبة أخوه عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر .

ولم تقتصر العناية بالكتب وجمعها على الحكم المستنصر وحده بل امتد ذلك الى كبار رجال الدولة بل تجاوزتهم الى معظم أهل قرطبة والمناطق الأخرى . وحتى النساء كانت لهن عناية باقتناء الكتب ، ومن اشتهرن في هذا المجال عائشة بنت احمد ابن قادم .

٩ - وإذا نظرنا الى اهتمام الحكم المستنصر بالناحية العمرانية نجد أن من أبرز أمثلتها جامع قرطبة الذي عد من أجمل جوامع العالم من الناحية العمرانية بهدائش نقوشه وكتاباتة . اما محرابه فكانت تضرب بهجالة وروعة نقوشه الأشكال ، وقد حرص الامراء الأمويون

طى تزيينه وتوسيعه وتحسينه لدرجة لا تدخل فى الحساب ، ولقد
افتتح الحكم المستمر عهد بتوسعة هذا الجامع وسنى فى غربه
دارا للمدقة وميتا للفقرا .

ولم يكف الحكم المستمر بأن تقام فى الجامع صلاة الجمعة
والجماعات فى أوقاتها بل حوله الى جامع تزدان أروقها بالعلماء
الاجلاء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيه .

١- نتيجة لتلك الجهود برز العلماء الاجلاء فى مختلف جوانب العلم .
ففى طم القراءات برز المقرئ محمد بن الحسين بن محمد المقرئ .
وفى طم الفقه برز الكثير من العلماء أشهرهم محمد بن يحيى بن مفرج
القاضى ، وعبد الله بن محمد بن قاسم التفرى ، واسحاق بن ابراهيم
ابن سره . أما أشهر طما الحديث فهم قاسم بن اصبح ، ومحمد
ابن فرج بن سبعون النحلى ، وزيناع بن الحارث .

كما برز فى طم اللغة والأدب الذى اعتنى به الأندلسيون غاية
فائقة الأدباء والنحويين والوشاحين . فمن أبرزهم فى طم النحو
محمد بن الحسن الزبيدى ، والعلامة ابن سيد . أما أشهر الأدباء
فأحمد بن فرج الجيانى ، وابن عبد ربه . وأما أشهر الشعراء
فيوسف بن هارون الكندى ، وأبو بكر الفيلس . ومن برز فى فن
الموشحات الاعلى التطيلس ، ومحمد بن عباد القزاز . وفى التاريخ
والجغرافيا برز محمد بن يوسف الوراق ، وأبو بكر محمد بن عمر

القوطيه ، واحمد بن محمد الرازي .

وفى الفلسفه محمد بن عبدالله بن مسره الباطنى ، وكان مسن
تلامذته طما مشهورون منهم رشيد الدجاج والياس الطليطلى .

وفى العلوم التجريبيه برز فى علم الفلك احمد بن محمد
الانصارى ، وأبو القاسم النجريطى . واما علم الطب والصيدله
فقد برز فيه كثير من العلماء أشهرهم عز واحمد ابنا يونس الحرانى ،
واحمد بن حكيم وغيرهم .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فيما توصلت اليه من نتائج فى هذه
الدراسه .

والله اسأل ان يكتب لى التوفيق والنجاح .

قائمة

المصادر والمراجع

(٢٠٨)

(أ) المصادر

١ - ابن الأثير (ت ٦٥٨ هـ)

الحله السيرة ، جزءان ، تحقيق
وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية
للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، ١٩٦٣ م .

٢ - ابن أبي زرع (ت ٧٢٦ هـ)

الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار
ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ،
طبعة محمد خاللي ، ١٩٣٦ م .

٣ - ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل في التاريخ ، تسعة أجزاء ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

٤ - ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)

الصلة ، جزءان ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٦ م .

٥ - ابن جليل (ت في القرن الرابع الهجري)

طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد
سيد ، امين المخطوطات بدار الكتب
المصرية ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي
للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٦ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)

جمهره انساب العرب ، تحقيق وتعليق
عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .

٧ - ابن حبان (ت ٦٩٩ هـ)

المقتبس ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن
الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ،
مطبعة سما ، ١٩٦٥م .

٨ - ابن خاقان (ت ٥٢٨ هـ)

مطمح النفس وسرح النفس في ملح أهمل
الاندلس ، مطبعة الجوانب بقسطنطينية ،
الطبعة الأولى ، ١٣٠٢ هـ .

٩ - ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)

اعمال الاعلام في من بويح قبل الاحتلال من
ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق أ . ليفسي
بروفنسال ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ، ١٩٥٦م .

١٠- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبروديسوان
المتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والهبر من ذوى السلطان الأكبر ، سبعة
أجزاء ، مؤسسة جنال للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١١- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ثمانية
أجزاء ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر
للطباعة والنشر ، مطبعة الغرب ، بيروت
١٩٧٢ م .

١٢- ابن دحيمة (ت ٦٣٣ هـ)

المغرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق
ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد ،
واحد بدوى ، مراجعة طه حسين ،
المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

١٣- ابن سـميد (ت ٦٨٥ هـ)

المغرب في حلق المغرب ، جزان ، تحقيق
وتعليق شوقي ضيف ، دار المعارف
بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .

١٤- ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

العقد الفريد ، ستة أجزاء ، تحقيق
محمد سعيد العربي ، المكتبة التجارية
الكبرى ، لبنان ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م

١٥- ابن عذاري (ت نحو ٦٩٥ هـ)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،
أربعة أجزاء ، تحقيق ومراجعة
ج. س. كولان ، وليفي بروفنسال ، دار
الثقافة ، بيروت .

١٦- ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية
للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ،
القاهرة ، ١٩٦٦ م

١٧- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ،
ستة أجزاء ، تقديم السيد شهاب الدين
النجفي ، اعادة طبعه بالأوفست ، منشورات
مكتبة المثنى ، بغداد .

١٨- الحميري (ت ٤٨٨ هـ)

جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، الدار
المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،
١٩٦٦ م

٢٤- القالسي (ت ٣٥٦ هـ)

الامالي ، جزآن ، المكتب التجاري للطباعة
والنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٥- المراكشي عبدالواحد (ت ٦٤٧ هـ)

المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق
الاستاذ محمد سعيد العربيان ، مطابع
شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ
٠م ١٩٦٣

٢٦- المراكشي عبد الطيب (ت ٧٠٣ هـ)

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والملاحه ،
ستة اسفار ، تحقيق محمد بن شريفه
واحسان عباس ، بيروت .

٢٧- المقري (ت ١٠٤١ هـ)

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،
خسة أجزاء ، حققه وضبط غرائب وطبّق
حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٩ هـ .

٢٨- النباهي (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ)

تاريخ قضاة الاندلس ، المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

(ب) المراجعـــــــــــــــــع

- ١ - ابراهيم بهضــــــــــــــــون
الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى
سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م.
- ٢ - ابراهيم العــــــــــــــــدوي
الاساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ،
دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ م.
- ٣ - احمد مختار العــــــــــــــــبادي
في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة
الجامعية ، الاسكندرية ، (بدون طبعه) .
- ٤ -
في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ م.
- ٥ -
في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م.
- ٦ - احمد هيكــــــــــــــــل
الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م.

٧ - ارشيدالد لويــــــــس

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر
المتوسط ، ترجمة محمد عيسى ، القاهرة ،
١٩٦٠م

٨ - انجل جنثالث بالنفيسا

تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ،
مطعم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ، ١٩٥٥م

٩ - حسن ابراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ،
١٩٥٨م من كتاب الفاطميون في مصر ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٨م

١٠ - رجب محمد عبد الحليم

العلاقات بين الاندلس والسالك النصرانيه
منذ عصر الاماره حتى نهاية القرن الخامس
الهجري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ،
جامعة القاهرة ، سنة ١٩٨٠م (لم تطبع)

١١ - حسين مؤنس

رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة
والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٦٣م

١٢- سعاد ماهر

البحرية الاسلاميه وآثارها الباقية ،
دار المجمع العلمي بجدد ، الطبعة الثانية ،
جدد ، ١٣٩٩ هـ .

١٣- سعد البشيري

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ،
رسالة ماجستير مقدمة من جامعة ام القرى
بنكة المكرمة ، ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ (لم
تطبع) .

١٤- سعيد عبدالفتاح عاشور

أوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة الخاصة ، القاهرة ،
١٩٧٢ م .

١٥- السيد عبدالعزيز سالم

قرطبة حاضرة الخلافة ، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ م ،
جزئين .

١٦-

المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، الجزء
الثاني .

١٧- السيد عبدالعزيز سالم

تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من
الفتح العرشي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٩٨١ م .

١٨-

تاريخ مدينة العربية قاعدة اسطول الاندلس ،
دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ،
بيروت ، ١٩٦٩ م .

١٩- السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي

تاريخ البحرية الاسلاميه في المغرب
والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت .

٢٠- سميون حايمسك

صبح البشكسيه او الازمن طي عهد الحكم
الستتصر والدوله العامريه ، ١٩٧٦ م .

٢١- شكيب ارسلان

الحلل السندسيه في الاخبار والآثار
الاندلسيه ، دار مكتبة الحياه ، بيروت ،
المجلد الثاني .

٢٢- صابر ديباب

سياسة الدولة الاسلاميه فى حوض البحر
المتوسط من أوائل القرن الثانى للهجرة
حتى نهاية العصر الفاطمى ، عالم الكتب ،
الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٢٣- عبد الحميد الشرقاوى

الملاحه البحريه الاندلسية فى القرنين الثالث
والرابع ، رسالة ماجستير مقدمه من جامعه
القاهرة ، ١٩٣٥م (لم تطبع) .

٢٤- عبد الحميد العبادى

الجميل فى تاريخ الاندلس ، دار القلم ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٢٥- عبد الحليم منتصر

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ،
دار المعارف بمصر ، مطبعة معهد دون
بوسكو ، الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ،
١٩٧١م .

٢٦- عبد الرحمن الحجى

تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى
سقوط غرناطة ، ساعدت جامعه بغداد على
نشره / دمشق ، دار العلم ، الكويت ، دار
القلم ، الرياض ، دار القلم ، الطبعة
الاولى ، ١٣٩٦ .

٢٧- عبد العزيز البدرى

الاسلام بين العلماء والحكام ، منشورات
المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦م .

٢٨- عبد الكريم التواتى

مأساء انهيار الوجود العربى بالاندلس ،
مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة
الاولى ، ١٩٦٢م .

٢٩- على عبدالله القحطانى

الدولة العامرية فى الاندلس ، رسا لقماجستير
مقدمه من جامعة ام القرى بمكة المكرمة ،
١٤٠١م (لم تطبع) .

٣٠- على محمد راضى

الاندلس والناصر ، دار الكتاب العربى
للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣١- لطفى عبد البديع

الاسلام فى اسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

٣٧- محمد عبد الله خان

دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الخلافة
والدولة العاصرية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣٨-

تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه ، مكتبة
الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ /
١٩٧٠ م .

٣٩-

الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ،
مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ،
القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م .

٤٠- محمد عيسى

تاريخ التعليم في اسبانيا ، رسالة لنيل
درجة الدكتوراه - مقدمة من جامعة الاتونوسا
بمدريد ، ١٩٧٩ م - ١٩٨٠ م .

٤١- محمد كرد علي

الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٤٢- محمد كرد علي

غابر الاندلس وحاضرها ، مطبعة لجنسة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون
سنة طبع .

٤٣- كمال اليازجي وانطوان غطاس

اعلام الفلسفة العربية ، دار المكشوف ، مكتبة
انطوان ولبنان - بيروت ، الطبعة الثالثة ،
١٩٦٨ م .

٤٤- مصطفى الشكعة

الادب الاندلسي موضوعاته وفنوناته ، دار
العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،
١٩٧٥ م .

٤٥- ه . أ . فشهر

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة :
محمد مصطفى زاده ، والسيد البازا المريني
دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، القسم
الاول .

٤٦- هشام أبو رمل

نظم الحكم في عصر الخلافة ، رسالة ماجستير
مقدمة من جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧٦ م .
(لم تطبع) .

Abdurrahman Ali Elhajji: Andalusian diplomotic
relations with western Europe during
the Umayyad period (A.H. 138-366),
A.D. 755-976, Daral Irshad, Beirut,
1910.

- ٤٧

الفهرس

	شكر وتقدير
١	المقدمة
٩	التعريف بأهم المصادر والمراجع

الفصل الأول

الخلافة عبد الرحمن الناصر يهيئ ابنه الحكم للخلافة

٢٠	١ - اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة
٣٣	٢ - تولية الحكم المستنصر الخلافة

الفصل الثاني

جهاز الحكم المستنصر ضد الممالك والامارات

الاسبانية النصرانية ضد النورمان

٣٩	١ - نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر .
٥١	٢ - علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانية النصرانية : أ - جهاز الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وامارة قشتالة .
٥١	ب - عهد السلام بين الحكم المستنصر وملوك الأسبان وأمرائهم النصارى .
٥٨	ج - نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى لعهد السلام وعودتهم إلى شن الغارات على الأراضي الإسلامية .
٦٥	

الصفحة

- ٦٩ ٣ - جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان :
- أ - النورمان وغاراتهم على الأندلس قبل عهد
٦٩ الحكم المستنصر .
- ب - غارات النورمان على الأندلس في عهد الحكم
٨١ المستنصر .

الفصل الثالثالنزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصروالفاطميين

- ٨٨ ١ - النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على
المغرب الأقصى .
- ١٠٠ ٢ - النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر
والمعز لدين الله الفاطمي .
- ١١٠ ٣ - الحكم المستنصر يقضى على محاولة آخر أمراء الأدارسة
الحسن بن قنون في استعادة نفوذ الأدارسة على
المغرب الأقصى .

الفصل الرابعالحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

- ١٢١ ١ - صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد
عبد الرحمن الناصر .
- ١٣١ ٢ - الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهوده العلمية والتعليمية :
- ١٣١ أ - تنشئته العلمية وهو ولي العهد .
- ١٣٧ ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية .

الصفحة

١٤١	ج - جهود العلميه والتعليميه
١٥٢	د - انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعيه والخاصه .
١٥٨	هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الى جامعة علميه .
١٦٥	و - جامع قرطبه يتحول الى جامعه علميه في عهد .
١٧١	٣ - الحياه العلميه في الاندلس في عهد الحكم المستنصر :
١٧١	أ - العلوم الشرعيه
١٨٠	ب - علوم اللغه والأدب
١٨٧	ج - العلوم الانسانيه
١٩٢	د - العلوم التجريبيه
١٩٨	الخاتمه
	قائمة المصادر والمراجع :
٢٠٨	أ - المصادر
٢١٥	ب - المراجع

